الحسن بن طلال
المفكر الإنسان



رؤى وأفكار
في
التنمية
الديمقراطية
السلام

وقراءة في مؤلفات سموه

د . أمين المشاقبة

أستاذ مشارك في العلوم السياسية

جامعة اليرموك و جامعة العلوم التطبيقية



١٩٩٨

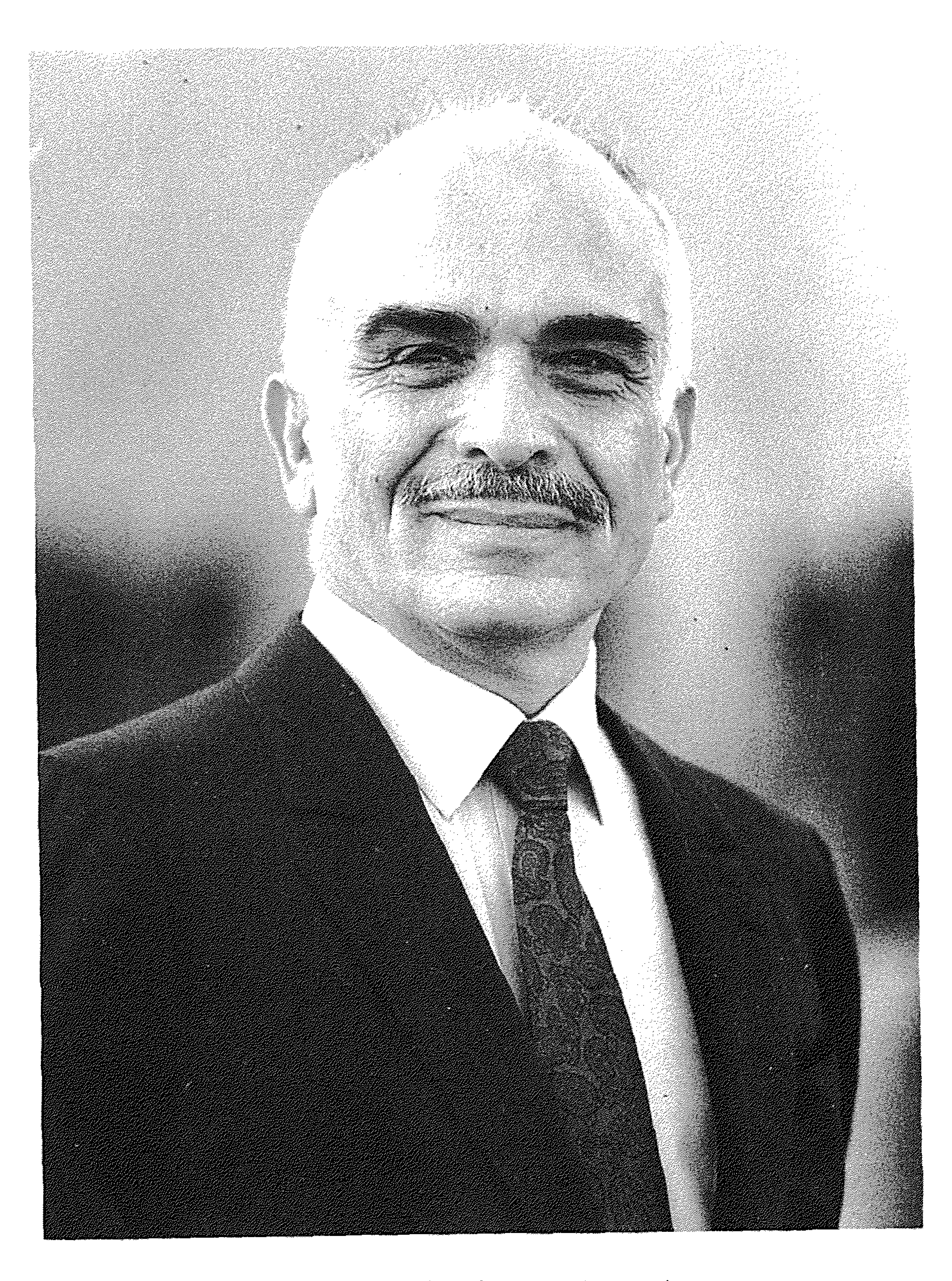
الحسن بن طلال
المفكر الإنسان

رؤى وأفكار
في
التنمية
الديمقراطية
السلام

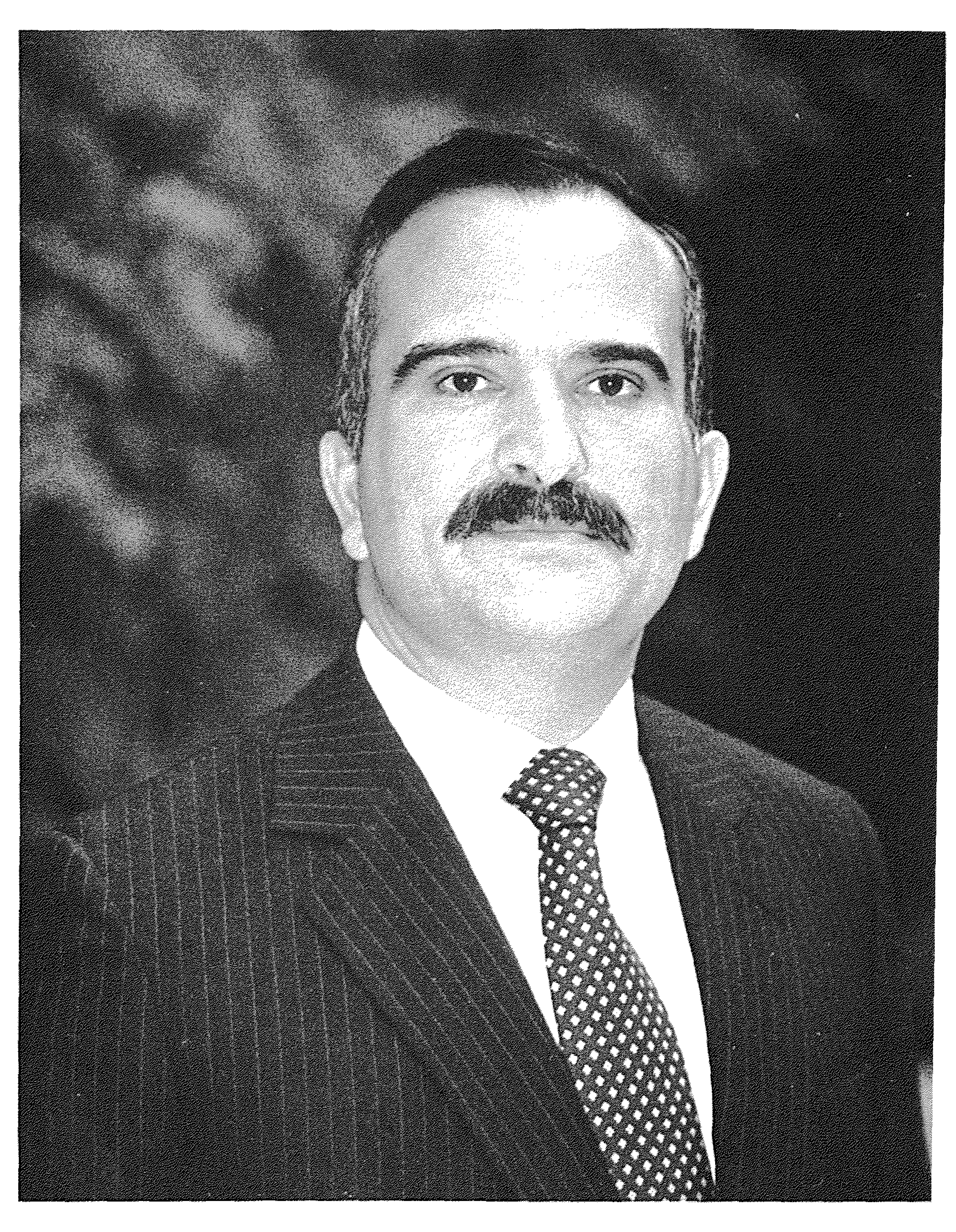
وقراءة في مؤلفات سموه

د . أمين المشاقبة
أستاذ مشارك في العلوم السياسية
جامعة اليرموك و جامعة العلوم التطبيقية

١٩٩٨



حضرة صاحب الجلالة الملك الحسين المعظم



حضرة صاحب السمو الامير الحسن ولي العهد المعظم

- الإهداء -

إلى صاحب السمو الملكي الأمير راشد بن الحسن

حفظه الله ورعاه

كلمة شكر وتقدير

كثيرون الذين يستحقون الشكر والتقدير والامتنان مني لمساعدتهم لـــــي في إعداد هذا الكتاب. بداية الشكر لطلابي فـــــي جامعـــة الـــيرموك ، والعلوم التطبيقية الذين استلهمت منهم الفكرة، وأخص بالذكر طلابـــــي الذين ساهموا في تحضير بعض المعلومات التي ساعدت في إعداد هذا الكتاب.

وأخيراً الشكر إلى كل من مد يد العون لي لإنجاز هذا الكتاب.

د. أمين مشاقبة

فهرس المحتويات

		صفحة
الإهداء		١
كلمة شكر وتقدير		٢
فهرس المحتويات		٣
مقدمة عامة		٥
الفصل الأول :	**(التنمية، الديمقراطية والسلام)**	٩
الباب الأول :	**النزعة الإنسانية في فكر سموه**	١٠
الباب الثاني :	**رؤى وأفكار سموه في التنمية**	١٣
الباب الثالث :	**رؤى وأفكار سموه في الديمقراطية**	١٩
الباب الرابع :	**رؤى وأفكار سموه في السلام**	٢٧
الفصل الثاني :	**قراءة في كتاب**	
	" القدس دراسة قانونية "١٩٧٩	٣٣
الفصل الثالث :	**قراءة في كتاب**	
	السعي نحو السلام ، ١٩٨٥	٥٣
الفصل الرابع :	**قراءة في كتاب**	

فهرس المحتويات

	أفكار وتساؤلات ، ١٩٩٠	٦٣
الفصل الخامس:	قراءة في كتاب	
	المسيحية في العالم العربي ،١٩٩٥	٧٠
الفصل السادس :	قراءة في كتاب	
	هل تكسب الإنسانية معركتها؟ ١٩٩٥	٩٣
خاتمة		١٢٥
قائمة المراجع		١٢٧

مقدمة

يعجز المرء أن يصف الطاقة الفكرية الفذة لدى سـموه حفظـه الله، فنحن أمام مفكر إنسان متسلح بالعلم والمعرفة ، والمنهجية السليمة، فكره مليء بالموضوعية ، والعقلانية ، والإنسانية ، هذه الطاقة الفكرية التي تراكمت عبر سنين الممارسة الفعلية وتحمل المسؤولية في كافـة مجالات الحياة والعمل الإنساني المسؤول وعلى مختلـف المسـتويات أردنيا، وعربيا، وعالميا. فسموه معروف ومشهود له عالميا، بذكائـه، وفكره، واتزانه ومقدرته على البذل والعطاء. وكيـف لا: فـهو حفيـد الرسول الأعظم وابن الأشراف أخ الأشراف، فقد تتلمذ على يد سيدنا الحسين بن طلال، الشريف الهاشمي ، الملك الجنـدي الإنسـان الـذي تروى بفكر النهضة العربية الكبرى من الجد المؤسس المغفور له الملك عبدالله بن الحسين وباني الأردن الحديث ، الخبير المتمـرس بشـؤون الدولة والعالم.

إننا أمام مدرسة فكرية شامخة شاملة لمختلف صنـوف الفكـر والسياسية والاقتصاد والاجتماع ، فهذا " غيض من فيض" من فكر أمير البذل والعطاء ، الحسن بن طلال ، المفكر الإنسان ، الذي جمـع بيـن المحافظة على التقاليد العربية الإسلامية الأصيلة الراسخة عبر أربعـة عشر قرنا من عمر الأسرة الهاشمية النبيلة ، والانفتاح المنضبط علـى الحضارة العالمية والإنسانية.

فالحسن بن طلال يمثل في فكره التوازن، والاعتدال، والوسطية فهو بعيد كل البعد عن التطرف والانغلاق والمغالاة. مؤمن باستخدام الوسائل العلمية، والعقلية، والموضوعية لمعالجة القضايا، ومواجهة التحديات. مؤمن كل الإيمان بالتغيير السليم والصحيح بطريقة سليمة تدريجية، وهذه السمات تجعله يقف في وسط الطريق كمفكر ومسؤول.

إن هذا الجهد المميز من سموه يدل على إدراك وفهم لحقيقة التاريخ الإنساني والأحداث الإنسانية والمعضلات على كافة المستويات، ويعطي سموه وميض رؤية مستقبلية من خلال نظرة واقعية فاحصة يشوبها بعض من التفاؤل أملاً بمستقبل أفضل للبشرية جمعاء.

ويهدف هذا الكتاب إلى إعطاء فكرة عامة عن أفكار ورؤى وآليه معالجة سموه للمشكلات التي تواجه الوطن والأمة والعالم. وهي محاولة جادة لوضع هذا الفكر الملتزم بين يدي العامة قبل الخاصة، وبالذات الأجيال القادمة.

يتناول هذا الكتاب فكر صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال، فالأفكار والرؤى التي يحملها سموه توضح وتعالج معظم القضايا والإشكالات التي تواجه الوطن والأمة، والإنسانية. فهي تمثل الخطاب السياسي والإنساني لسموه بإطار شمولي، واقعي، وموضوعي.

ويقع هذا الكتاب في ستة فصـــول رئيســـة : فـــالفصل الأول ، يتناول فكر صاحب السمو الملكي في قضايا حساسة ومصيريـــة مثـــل التنمية، والديمقراطية، والسلام، وقد أفرد لكل واحد من هـــذه القضايـــا باب مستقل، ويتضح من ذلك مدى الفهم الدقيق والشامل لما تعنيه تلـــك القضايا، إضافة إلى ذلك يعالج الفصل طبيعة الفكر الإنساني الذي يحمله سموه وما هي طبيعته ومرتكزاته.

أما الفصول الخمسة الأخرى من الكتاب فقد أفـــردت لمؤلفـــات سموه وأخذ التسلسل الزمني في صدورها كأساس لترتيبـــها. ويعـــالج الفصل الثاني، مؤلف سموه " القدس دراسة قانونية" والذي صدر فـــي العام ١٩٧٩، ويتناول الكتاب موضوع القدس من حيث وجهـــة نظـــر القانون الدولي، واقع القدس " كمدينة مقدسة"، وكذلك التطور التاريخي لمدينة القدس منذ "٤٠٠٠"سنة قبل الميلاد إلى يومنا الحاضر،ويصل في الكتاب إلى نتائج قانونية حول القدس والسيادة عليها.

ويتناول الفصل الثالث مؤلف سموه الشهير،(السعي نحو السلام) الذي صدر العام ١٩٨٥ ، والذي يضيء من خلالـــه الواقـــع العربـــي والعملية السياسية ونظرة العرب والمملكة الأردنية الهاشمية نحو السلام والموقف السياسي تجاه العملية السلمية . ويعرض الفصـــل الرابـــع – كتيب (أفكار وتساؤلات) الذي صدر عـــام ١٩٩٠م . ويطـــرح هـــذا

الكتيب جملة من التساؤلات حول عقد التسعينات وصيغ التعاون العربي ومحاولة جادة واقعية لفهم الواقع الدولي وانعكاساته على الواقع العربي.

أما الفصل الخامس ، فهو محاولة موجزة لعرض كتاب سموه (المسيحية في العالم العربي) ، الذي صدر في عام ١٩٩٥ م ويعالج فيه معنى المسيحية عبر التاريخ وتطورها ، والجدلية حول ماهيتها ، والانشقاقات التي حصلت في الكنيسة المسيحية وما أدت إليه، كذلك المسيحية في العالم العربي، وتطورها ودورها عبر تاريخ الأمة.

أما الفصل السادس والأخير من هذا الكتاب فقد تناول كتاباً ساهم فيه سموه من خلال الهيئة المستقلة الخاصة بالقضايا الإنسانية وهو كتاب (هل تكسب الإنسانية معركتها؟) حيث يقدم سموه للكتاب، إضافة إلى دوره الرئيس والفاعل في إعداد هذا التقرير العالمي الذي يتناول القضايا الإنسانية العالمية ومدى تأثيرها على الإنسانية جمعاء محاولاً إيجاد الحلول والتوصيات لهذه المشكلات الإنسانية العالمية.

وأخيراً ، فإن هذا الكتاب يعالج بمنهج تحليلي ووصفي رؤية وأفكار صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال المفكر الإنسان، ومحاولات سموه وضع خطوط لرؤية مستقبلية شاملة ومتزنة هدفها رفاه الإنسان والإنسانية.

الفصل الأول

التنمية ، الديمقراطية والسلام

النزعة الإنسانية في فكر سمو الأمير الحسن

تشكل النزعة الإنسانية توجهاً أساسياً في بنية الفكر عند سـمو الأمـير الحسن ، وهي نزعة تستدعي وضع كل ما من شأنه الحط مـن الرفـاه الإنساني موضع التساؤل مهما كان تـأثيره علـى النمـو الاقتصـادي والقوة السياسية أو على استقرار نظام من الأنظمة، فالمفاهيم التجريديـة كالنمو والاستقرار والنظام ليست غايات بحد ذاتها عند سموه بـل هـي أمور تكتسب قيمتها إذا ما أثمرت مزيداً من الرفاه للبشر.

وتنطلق هذه النزعة الإنسانية من خلال إدراك سموه إلى أن كل واحد منا ليس أكثر من إنسان وليس أقل من ذلك أيضاً، والتأكيد علـى إنسانيتنا المشتركة لا يعني إنكار الاهتمامات المتعالية أو التقليـل مـن شأنها ، بل يعني الاعتراف بأن الحقيقة ليس لها تعريف وحيـد يقبلـه الجميع دون شروط، غير أننا نستطيع البدء من نقطة الإنسانية المشتركة مثلما يمكننا التعايش مع المفاهيم المتعددة للحقيقة.

وتلقيَ النزعة الإنسانية نظرة بعيدة على رفاه البشريـة حيـث يشكل التضامن مع الأجيال القادمة أحد أبعادها الأساسية، فالمسـؤولية الأولى نحو الأطفال هي أن نضمن لهم مستقبلاً يجنبهم الحرب المدمرة، ومن الضروري أيضاً ألا يرثوا كوكباً اضمحلت موارده أو دمرت بيئته بشكل لا صلاح له، كذلك الارتكاز إلى تحمـل المسـؤولية ألا يحـرم

الأحفاد من فرصة العيش الكامل وتوسيع آفاق المعرفة لمنفعة البشرية فرص الاختيار ، إذ أن النزعة الإنسانية نزعة حذرة وأكثر ما يسوؤها أن تجد نفسها في طريق اللاعودة، ولذلك فسموه يؤمن بالنزعة الإنسانية بصفتها إطاراً يتعرف به على المشكلات التي تواجه البشرية وصيغة حلها، فما أن يصبح رفاه البشرية في موضع القلب من اهتمامات الأفراد والجماعات حتى تتبدى لنا عشرات القضايا التي تستدعي المعالجة ضمن أي مجموعة من الظروف المحددة .

والنزعة الإنسانية هي اتجاه لدى الأفراد وصانعي القرار والسياسات في آن معاً عند سمو الأمير الحسن، وهي تشمل الفلسفة الإنسانية (Humanism) وحقوق الإنسان وتتجاوز حدود القانون الإنساني الراهن، إنها تربط الأفعال بالأخلاق على كل المستويات، ونحن بهذا المعنى نعطي لمصطلح النزعة الإنسانية سياقاً أوسع مما يسمح به الاستعمال الدارج، فالمفاهيم التقليدية الخاصة بالنزعة الإنسانية تميل إلى أن تكون سلبية في طبيعتها وتصب اهتمامها على اجتناب بعض الأفعال التي تضر بالآخرين أكثر من اهتمامها بالمساعدة الفعلية ولهذا فإن المفاهيم تبقى محدودة الأفق، ولا شك أن إعطاء الحلول العاجلة للمشكلات الاجتماعية الملحة أمر له الأولوية ولكن هذه الحلول العاجلة كثيراً ما استعملت بوصفها بديلاً عن معالجة جذور هذه المشكلات والعثور على أجوبة بعيدة المدى .

يقول سمو الأمير الحسن" إن الإنسان، في العقد القادم لا بـــد أن يسلك طريق التلاقي والتفاهم بين الحضـــارات علـــى أســس إنســانية واضحة المعالم ومقبولة للجميع ، ويضيف سموه" إن قلة الاكتراث بالقيم الإنسانية ليست تبدو فحسب فـــي الصـــراع المســتعلن بيــن الــدول والمجتمعات، وإنما تظهر أيضاً في وقوف المجتمع الدولي متفرجاً على تحول مجتمعات بأكملها إلى ما تحت مستوى حد الفقر".(1)

ويرى صاحب السمو الملكي في نظرة ثاقبة أن النظام العـــالمي الجديد يجب أن يكون أساساً نظاماً إنسانياً ينطلق من رؤية لعالم أفضل يشكل الاحترام المتبادل والتسامح والرحمة والتضامن الإنساني أرضية له.

ويعتقد سموه بضرورة وجود ميثاق شرف للسلوك البشري مـــن شأنه إعطاء العلاقة المتبادلة بين الأفراد جوهرها، ومناشدة الحكومـــات والحكام أن يضعوا احترام حقوق الإنسان والمبادىء الإنســـانية فـــي صميم سياساتهم وممارساتهم.(2)

---

(1) الحسن بن طلال ، صدر الدين آغاخان ، هل تكسب الإنسانية معركتها ، عمان ، مكتبـــة الشبـــاب ، ١٩٩٥.

(2) خطاب سمو الأمير الحسن ، في دورتي كلية القيادة والأركان ، والأركان الجوية ، عمان ، ١ حزيـــران ، ١٩٩٦.

الباب الثاني

رؤى وأفكار سموه في التنمية

يرى صاحب السمو الملكي أن الإنسان هو محور التنمية وأداتها، وقد فجر مجمل طاقاته عبر العصور من أماكن سكناه ، فنجح في خططه وطور أدواتها ومهاراته ، فكانت محصلة هذه الجهود تنمية حقيقة وتطويراً قوياً متواصلاً .

إن مفهوم نجاح الجهود التنموية لن يتأتى إلا بتأهيل التنمية، أي باعتماد البعد الحضاري في استخدام التكنولوجيا وتطويرها وإعطاء الأصيل منها حقه بالتطوير والبناء عليه بدلا من استبدالها ، ويضيف أننا يجب أن نعي أننا نخطط للانتقال من المرحلة التنمية الاجتماعية إلى مرحلة تنمية الإنتاجية الاجتماعية التي تصب في لب الموضوع وتنمية موارد الأرض وتطوير قدرات الإنسان عليها وارتباطه بها .[1]

إن التنمية تعريفا وتنفيذا تعني الشمولية وليس بالإمكان الاستمرار في الحديث عن تنمية قطاعية دون إطار شمولي تتضح من خلاله معادلات الوصل بين الإمكانات والاحتياجات، وإن مفهوم التنمية وطرق قياسها مفهوم ديناميكي متغير وخلال العقود الأربعة المنصرمة تغير التركيز على مفهوم التنمية المستمرة أو المستدامة وتم اعتماد

---

(1) جامعة اليرموك ، كلمة سمو الأمير الحسن في لقاء التصحر بتاريخ ٣٠-٧-١٩٩٦ .

مفهوم التنمية البشرية ويعني ذلك عملية توسيع اختيارات الناس ، ويرى سموه أن كل واحد من هذه المفاهيم له منهجية ووسائل تحقيق متفاوتة .

ويرى سموه أن هناك تفاوتا في مستويات التنمية بين دول العالم وعلى الرغم من هذا التفاوت فإن الاقتصاد سيبقى المكون الأساسي للقوة في العقود القادمة وإن وظيفة الدولة لا بد لها من أن تقوى في عدد من الميادين أهمها قيادة التطور في مجال التكنولوجيا . ويؤكد سموه على إمكانية إنتاج التكنولوجيا والتعامل معها والأخذ بأسباب العلوم والتكنولوجيا في حماية التنمية ومدى انعكاس ذلك على تطور المجتمعات .[1]

وللتنمية مكانة خاصة عند الأمير الحسن ، وهي ذات أبعاد مختلفة ومتشعبة أعلاها وأهمها على الإطلاق تنمية الإنسان بذاته ولذاته حيث ان التنمية تمثل عند سموه (حالة عقلية) وتكمن في التغيير في معتقدات الإنسان واتجاهاته لتتلاءم مع عملية التنمية الحقيقية لأن المعايير الإنسانية والتقاليد الإنسانية الجامدة والمتخلفة عادة ما تكون وراء فشل عمليات التنمية في كثير من البلاد .

يرى الأمير الحسن أن التنمية الإنسانية هي الهدف النهائي للتنمية الوطنية غير أن مئات الملايين من بني جلدتنا ما يزالون يعانون، فهم يحيون جوعى ويموتون جوعى، كل هذا بعد أربعة عقود من

---

(1) كلمة سمو الأمير الحسن في افتتاح المؤتمر العلمي الأردني الثاني ، عمان ٥-٨-١٩٩٤ .

التنمية ضمن تلك الجهود التي بذلها المجتمع الدولي . ويعود السبب في أن عملية التنمية تعاني مصاعب جمة ومن تجدد عدم اليقين من نتاجها إلى الركود الأخير في اقتصاد العالم ، فالاقتصاد العالمي يحابي الدول الصناعية الغنية، لا بل إن العالم ابتعد في السنوات الأخيرة عن التعاون الدولي في المجال الاقتصادي ، ولعله يتجه نحو عهد جديد من السيطرة الاقتصادية و التبعية .

ويعزز منطق سمو الأمير الحسن السابق التغيرات الدولية التي طرأت على العالم وذلك بانتهاء الحرب الباردة وزوال الخطر الشيوعي. حيث إن الدول الصناعية في المعسكر الغربي كانت مجبرة على تقديم المساعدات ودعم التوجهات التنموية في تلك البلدان لأنها كانت تريد استقطابها وتخشى أن تقع هذه الدول لقمة سائغة في أيدي الشيوعية. وبعد تفكك الإتحاد السوفياتي لم تعد أوضاع هذه الدول تهم الغرب فتوقفت عنها مساعدات الدول الغنية وتعطلت فيها مشاريع التنمية . ومن جانب آخر تعطلت مشاريع التنمية في الدول التي كان الإتحاد السوفياتي يقدم لها المساعدات قبل انهياره الاقتصادي .(1)

إن أسوأ ما تؤدي إليه مدينة توجه نفسها نحو الحرب بدلا من السلام هو الانتشار السريع للاستعداد العسكري في جميع أقطار العالم الثالث في وجه الحاجة الملحة للتنمية فيها فربع ديون العالم الثالث

---

(1) هل تكسب الإنسانية معركتها ، ص٣٩ .

المهلكة التي تقارب الألف بليون دولار مردهـا إلـى مشترياتـه مـن الأسلحة ، ومع أن مشتريات العالم الثالث من الأسلحة قد اختلفت فـي الفترة الأخيرة بسبب انخفاض عوائـد النفـط أزمـة الديـون ، إلا أن صناعات العالم الثالث المخصصة للأسلحة ظلت تنمو بحيث زاد عـدد البلاد النامية التي تملك صناعات حربية حتى عام ١٩٨٥ عن خمسـين بلداً ومع هذا فإن المشكلة ما زالت قائمة ومتفاقمة .

إن السعي الدولي يجب أن ينصب على إحياء حركـة تنمويـة واسعة تساهم بها الدول الغنية لصالح الدول الفقيرة ، وذلـك لأن قلـة الإكتراث بالقيم الإنسانية لا تبدو في الصـراع المعلـن بيـن الـدول والمجتمعات فحسب، وإنما تظهر في وقوف المجتمع الدولـي متفرجـا على تحول مجتمعات بأكملها إلى ما دون مستوى خط الفقر ، وعجـز دولها عن إيجاد مصادر مالية يتعين بها محاربة الفقر . ولهذا فلا بد أن يكون الإتفاق العالمي الذي هو غاية في ذاته مبنياً على احترام الإنسان من حيث هو إنسان والنهوض لمعاونة الدول الفقيرة ، وحماية البيئـة ، وحماية الأطفال، والتذكير مسؤولية أبناء الأجيال الحالية تجاه الأجيـال القادمة. وفي هذا المجال، وضمن عالمنا الإسلامي فإنني أشعر أنه قـد حان الوقت لأن نستفيد من موضوع فريضة الزكاة، وذلـك بتوظيفـها بشكل يحقق لنا التكافل الاجتماعي ونحارب من خلالها بعض الأمراض

التي تفتك بالبنية التحتية لمجتمعنا الإسلامي ألا وهي الفقـــر والجـــهل والمرض، حيث تبرز هنا أهمية الزكاة في التنمية.

*** أفكار مستقبلية للتنمية في المنطقة :**

يبني سمو الأمير الحسن رؤية مستقبلية للتنميـــة فـــي المنطقـــة مشيراً إلى مبادرة طالما دعا إليها في عدة محافل ومنتديات دولية . إن لأوروبا تجربتها الثرية عندما واجهت إشكالية انقســامها إلـــى قســمين أحدهما غربي يتبع الحلف الأطلسي ، وثانيهما شرقي تبع حلف وارسو. وبما أن هذا الشرخ هو شرخ جيوسياسي فقد حـــاول الأوروبيــون أن يتجاوزوه ضمن عملية بدأ مسارها منذ عام ١٩٧٥ وعرفـــت بعمليـــة هلسنكي أو CSCE (مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي).

وعليه بنى الأمير الحسن مبادرة موازية لهذه المنطقة، غـــير أن مبادرتنا هذه تأتي ضمن أطر مفاهيمنا واهتماماتنا وتوجيهاتنا القوميـــة آخذين بعين الإعتبار معطيات الواقع الدولي فمـــن منظورنـــا للنظـــام العالمي الجديد لابد من التطرق إلى النواحي الإنســـانية فـــي التنميـــة الاجتماعية والسياسية، حيث قمنا في الأردن بتطوير مفهومنا وتفكيرنـــا على غرار خطة إقليمية لمؤتمر حول الأمن والتعـــاون فـــي الشـــرق الأوسط CSME حيث نرى أن مثل هذا المؤتمر يمكن أن يشكل عملية تنموية إقليمية ذات ديمومة ولذلك فإنه لا ينتهي بانتهاء أعماله، ولكننا لا ندعو من خلال ذلك إلى حلول معينة أو مخططات مرسومة مسبقاً بـــل

ندعو إلى توجه عملي مبني على الإلمام بكافة المعلومـــات والحقـائق اللازمة لذلك.

من جانب أخر يسلط سمو الأمير الحسن الضوء على مجموعة من القضايا التي تواجه البشرية وتأتي كإفرازات سلبية لتخلف عمليات التنمية في كثير من أقطار العالم، حيث يشير سموه إلى أزمــة الغـذاء الخطيرة التي هددت ملايين البشر بالموت جوعاً خصوصاً في القـــارة الإفريقية، ولهذه الغاية قام سموه في المساهمة بإعداد دراستين ونشرهما وهما تعنيان بمشكلة التصحر وإزالة الغابات إضافة إلى تقريــر حــول المجاعة وهو التقرير الذي ركز على خطر تدني نوعية البيئــة وعلـــى الدور الحاسم الذي يقوم به البشر في جلب الكوارث على أنفســهم، ولا تقتصر هذه الدراسات على إفريقيا من حيث الإستنتاجات والتوصيـــات خاصة فيما يتعلق بالسياســـات وتنظيـم المســاعدات التنمويــة ودور المنظمات غير الحكومية ومدى توافر الخيارات في السياســة الوطنيــة المتعلقة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والذي ينطبق على كل مـــن آسيا وأمريكا اللاتينية.

الباب الثالث

رؤى وأفكار في الديمقراطية

يرى سموه الديمقراطية أنها جزء من حالة التغير التي حصلت في السنوات الأخيرة، إذ يربطها بالثورة التكنولوجيا الثالثة، وثورة التكتلات الاقتصادية السياسية غير القومية، والثورة الديمقراطية، وتنطوي جميعها على قاسم مشترك أعظم هو العلم والمعرفة. ويربط سموه الديمقراطية بالتنمية حيث يرى أنهما توأمان، حيث لا يمكن عزل البعدين الاقتصادي والاجتماعي عن بقية قضايا الإنسان. ومن وجهة نظر الحسن فإن الديمقراطية نظام قيمي يقوم على أسس عدة منها:- التعددية السياسية؛ حقوق الإنسان والحريات العامة؛ وحرية الرأي والاعتقاد والتفكير؛ واحترام إنسانية الإنسان بصرف النظر عن الجوانب العرقية والدينية والجنسية.

ويرى أن الديمقراطية وحقوق الإنسان يعتبران من مرتكزات نظام الحكم القويم ، ويضيف أن خيارنا الديمقراطي جاء استجابة وتنفيذا لرغبة صاحب الجلالة الملك الحسين المعظم وطموحات شعبنا ، وأن الديمقراطية الأردنية الأكثر حرية بين مثيلاتها في المنطقة إذ يكن الأردن احتراما لحقوق الإنسان باعتبارها مرجعا جوهريا للغاية. إذ أن حرية الرأي والتعبير وتبني الآراء السياسية والمعتقدات الدينية تشكل

الأرضية الصلبة للتعددية الليبرالية . ويرى أن الجميع يجب أن يتمتع بالحقوق المتساوية إن كانت حقوقاً سياسية أو اقتصادية أو دينية أو إنسانية .

ويرى سموه أن العملية الديمقراطية في الأردن تنبع من تقاليدنا وتراثنا المتمثل في التعددية والانفتاح ، وميثاقنا الوطني الذي يمهد الطريق لنظام تعدد الأحزاب وما هو إلا منار على هذا الدرب .

ومنذ البدايات فالمنهج الديمقراطي هو تجسيد للرؤية الهاشمية لمعنى وفلسفة الحكم التي تقوم على مبدأ احترام حرية الإنسان ، وصون كرامته وحقه في المشاركة في صنع ما يتعلق بحياته من قرارات ، وعلى التسامح المبني على القيم الإسلامية المؤسسة على مبدأ المبايعة والمشاركة الشعبية في الحكم .

يعتبر سموه غياب الديمقراطية، هذا العامل المهم في بناء الأمة التي تعتبر نفسها أمة حقيقة وحية، جزءاً من كارثة الشرق الأوسط تنعكس على استقراره سواء على المستويين الوطني أوعلى المستوى والإقليمي ، فغياب الديمقراطية يؤدي إلى عدم الإستقرار السياسي وبالتالي إعاقة عمليات التنمية المجتمعية والإنحدار بقيمة الإنسان جراء الغياب الكامل لحقوق الإنسان في النظم الدكتاتورية، ربما تكون الديمقراطية هي الطريق إلى تجانس الأهداف النبيلة في المنطقة وبالتالي تقود إلى السلام والتعاون والأمن والرخاء في المنطقة.

يقول سمو الأمير الحسن في هذا المضمار: "عند الحديث عن الشعوب فإنني مؤمن تماماً بالتوجه الثلاثي المبني على الديمقراطية والأمن والرخاء " في منطقتنا ولا بد من استبدال سياسيات واقتصاديات اليأس بالسلام والاقتصاد السياسي للسلام والتقدم، ومعالجة الراديكالية والتطرف من خلال المشاركة الديمقراطية. ويمكن للتوجهات الخلاقة أن تؤدي إلىتعزيز الأمن وتحويل مليارات الدولارات باتجاه التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، الأمر الذي يستدعي توجهاً شمولياً يفضي إلى إعادة النظر في أسس التفكير السياسي والإستراتيجي وذلك فيما يتعلق بمفهوم الأمن من خلال الديمقراطية .[1]

ويشير الأمير الحسن إلى أنه وفي أعقاب حرب الخليج ظهر خطاب سياسي يدعو إلى قيام نظام عالمي جديد تسوده العدالة والقيم ذات الأبعاد الديمقراطية إلى جانب الأمن والإستقرار لجميع شعوب ودول العالم .وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا التوجه هو في الواقع سياق جديد لمفهوم قديم وبذلك فإنه تكرار لما كان كل من تشرشل و روزفلت قد اتفقا عليه عندما بلورا رؤية لنظام عالمي جديد يسود في أعقاب الحرب العالمية الثانية على أن يجسد ويستند هذا النظام العالمي الجديد إلى القيم والمبادىء الديمقراطية والسلام والإستقرار و التقدم للأمم كافة كجزء من رسالة العالم الحر الرأسمالي .

---

(1) الحسن بن طلال ، أفكار للزمن الجديد ، مرجع سابق ، ص٢٧ .

***الديمقراطية أداة للتعددية السياسية :** إن منطقـــة الشـــرق الأوسط غنية بتعدد الحضارات بكامل إفرازاتها على المجتمعات القائمة وقد كانت هذه التعددية واختلافاتها الحضارية دائماً على رأس أســـباب الصراع سواء كان ذلك داخل المجتمع الوطني الواحد أو على صعيـــد الإقليم ككل ، فشهدت المنطقة حرباً بين الدول بســـبب تلــك الأقليــات وجراء تحريكها من قبل طرف ضد آخر وكذلك رأينا ظلمـــاً وتســـلطاً داخل بعض المجتمعات ضد أقليات موجودة فيها وكان صراع الأقليات ينعكس على أوضاع الإقليم واستقرار دوله بشكل سلبي ، وكان ســـبيل دول المنطقة لمعالجة هذه المشكلة يتم دائماً عن طريق العنف المتبـــادل وكبت الحريات وانتهاك حقوق الإنسان دون حـــل هـــذه المشكلـــة . ولسوء الحظ لم تكن الأنظمة السياسية تعي بأن حل هـــذه المشكلـــة لا يتم إلا عن طريق إرساء قواعد الديمقراطية فـــي البـــلاد ، وهـــي أي الديمقراطية كفيلة باستيعاب حالـــة المجتمـــع التعدديـــة حيـــث تكفـــل الديمقراطية لكافة الأفراد والشرائح والأعراق والأصول العيش في حياة كريمة قائمة على أسس العدالة والمساواة واحترام حقوق الإنســـان أيـــاً كان أصله أو لونه أو انتماؤه الفكري والسياسي ، وعليه فإن تحول دول الشرق الأوسط إلى الديمقراطية يمكن أن يجعـــل مـــن حيـــاة شعـــوب المنطقة قائمة على الرخاء والأمن والعدالة .

إن الكثير من حالات العداء بين الدول هي حالات من العداء المصطنع من قبل الأنظمة الحاكمة بهدف تصدير أزماتها الداخلية من خلال صراع خارجي ، وتمتاز هذه الأنظمة في العادة بكونها أنظمة تسلطية لا تقيم وزناً لآراء شعوبها ، ففي كثير من الأحيان يكون مثل هذا الوضع جزءاً من الصراع للتخلص من بقايا الهياكل الإستعمارية وعلاقات السلطة ، لكن نهاية العهد الإستعماري تتبعها في أحيان أكثر بكثير فترات من الصراع والقلاقل لأن آليات التمثيل السياسي فشلت في تثبيت أقدامها ،لكن عمليات التطور في حد ذاتها تؤدي ، حتى في غياب الإستحواذ الإرادي في سلطة الدولة ، إلى نشوء تفاوتات لا بد أن تلعب الحكومة التي تمثل الشعب فيها دور الوسيط ، ولكن الحكومات كثيراً ما فشلت في دورها هذا أو أهملته بصورة متعمدة ولجأت إلى الكبت بأشكاله المختلفة ضد شعوبها بدلاً من الإدارة الاجتماعية .

وعلية فإن غياب الديمقراطية سيكون في مثل هذه الحالة عدم قدرة الشعوب على رفض ما قد يفتعل من صراعات عن طريق الحكومات ، ولما كان لمثل هذه الحكومات المستبدة أن تجبر شعوبها بالنار والحديد على إقحام أبنائهم ومواردهم في صراعات ليست ذات مصلحة لأحد اللهم لإبقاء مثل هذه الحكومات على هرم السلطة بحجة قوانين الطوارىء و الأحكام العرفية وقوانين الدفاع ، ثم تلهي هذه الشعوب عن البناء والتنمية ومطالبة الحكومات بالتخطيط لمثل هذه

التنمية ، فلو كانت هذه الحكومات تستمد شرعيتها من الجماهير في ظل نظام ديمقراطي مؤسسي فإنها سوف تكون مضطرة للعمل تحت وطأة الرأي السائد ، وبالتالي فإن الشعوب في المنطقة تلتقي على ما تريده هي لا على ما تريده حكوماتها ، على سبيل المثال تنزع كل الشعوب العربية إلى الوحدة العربية وتؤيدها في حين أن أغلب النخب الحاكمة في الوطن العربي وإن تظاهرت بالسعي نحو مثل هذه الوحدة ، ترى أنه ليس من مصلحتها أن تقوم مثل هذه الوحدة والتي ربما تعني منافستها على مكتسباتها جراء بقائها على رأس السلطة في الأقطار العربية التي تنفرد تلك النخب بحكمها ، ولذلك فهي بعيدة كل البعد عن الديمقراطية.

معنى ومفهوم الديمقراطية : الديمقراطية عند الأمير الحسن ليست مفهوما تقليديا لنظام حكم ما ، لكنها قيمة تعني الإنسان وشرعية الإنسان في كونه إنسانا وعليه فإن المواطنين الذين يعيشون في ظل نظام سياسي مَعين، يمكن أن يعرفوا بقيمتهم البشرية من خلال طبيعة الطريقة التي يحكم بها هذا النظام السائد . إن مآسي البشر واسعة ومتعددة والكثير منها يعزى بلا هوادة إلى غياب الديمقراطية في الكثير من بقاع العالم، وخير مثال على ذلك الصراعات الطائفية التي تجتاح الكثير من الدول وهذه الصراعات تتراوح ما بين الاستياء الصامت

وأحداث الشغب المتقطعة والعنف المستديم والحـــرب الأهليـــة، وهـــي تعكس ما يعيشه المجتمع الذي تحدث فيه من مشكلات علـــــى رأســـها غياب الديمقراطية ، وقد أخذت هذه الصراعات تتزايد وأخذ عنفها يشتد بحيث سقطت العقلانية والمبادئ الإنسانية ضحية للانتقـــام والعـــدوان، والصراع الطائفي مسؤول عن الآلاف بل عن مئات الآلاف من أحداث القتل التي لا مبرر لها، وعن إيجاد عدد كبير من اليتامى والمشرديـــن، ويهدد دمار الأملاك وتخريب الحياة الاقتصادية الـــذي يـــترتب عليـــها إمكانية التنمية، ويترك الملايين نهب الإحساس بالعجز التام، ولا يكـــاد بلد من البلدان يخلو من التوترات التي تعود في أصلها إلـــى المصـــالح الطائفية المتناقضة ولكن هذه الظاهرة أشد ظهوراً في تلك الدول غـــير الديمقراطية والتي يستأثر بالحكم فيها نخب ذات مرجعية طائفية كما أننا يجب أن لا ننسى أيضاً أن هذا الموضوع ظل إلى حد بعيد دون توثيق ودون بحث على المستوى الدولي .[1]

إن فهمنا للديمقراطية يجب أن يرتكز على حقيقة أساسية مفادها أن ضعف القدرة على الحكم السليم لدى بني البشر حقيقة من الحقـــائق التي لابد من الإعتراف بها وعلينا أن نســـعى، مـــن أجـــل أن نقلـــل احتمالات الخطأ، إلى إبقاء قنوات الاتصال مـــع الآخريـــن مفتوحـــة، والتخاطب الذي يتم على أوسع نطاق يمكن على أقل تقدير أن يكشـــف

---

(1) المصدر السابق ، ص٩٦-٩٧ .

عن اختلاف فيما يعتقده الناس وعن مصادر هذا الإختلاف ، وقد يؤدي تعدد طرق النظر إلى المشكلة الواحدة إلى زيادة فهمها مما يوسع من نطاق الإتفاق، وقد يكون الرأي المقبـــول خاطئـــاً، وقـــد يكـــون مـــن الضروري إزالة المخاوف بشأن الآراء الخاطئة، ولكن الأشيع هـــو أن الرأيين المتناحرين لا يمثل أحدهما الخطأ والآخر الصواب بل يشتركان معاً في قدر من الحقيقة ولهذا فإن تبادل الآراء يؤدي إلـــى اســـتكمال الحقيقة عند كل طرف.

الباب الرابع

رؤى وأفكار في السلام

ينظر سموه للسلام نظرة شمولية واسعة تتعدى الواقع المنظور والأحداث الآنية يربط السلام بالمستقبل الواعد بالخير. المستقبل الذي يتحقق معه الازدهار والتقدم لجميع الشعوب في المنطقة. فهو يرى أن السلام العادل والشامل، والمحافظ على الحقوق هو الذي يجب أن يسود، وإنه لا بد من الإنتقال من حالة صنع السلام إلى حالة بناء السلام. فصاحب السمو يربط بين حالة صنع السلام وبناء المستقبل الواعد من خلال تنمية اقتصادية شاملة ومتعادلة في المنطقة. ويولي أهمية بالغة وقصوى للربط بين عملية السلام من جهة، وتوطيد أركان الوئام بين الأديان السماوية من جهة ثانية. إن توطيد وتعزيز السلام يتحقق من خلال آلية التعاون الإقليمي في المجال الاقتصادي والتكنولوجي بحيث يوفر الإستقرار السياسي ، ويعزز بناء السلام وكذلك لا يمكن تقوية السلام وتدعيمه في المنطقة إلا إذا ارتبط بالجميع وشارك فيه الجميع. إن المشاركة الفاعلة في السلام تعني مشاركة جميع شعوب المنطقة ودعم مواطنيها والاعتراف بأهمية قضاياهم الإنسانية، ويقول صاحب السمو في هذا المجال :

" فإننا نحث الجميع في منطقتنا على الإستفادة والتمسك بهذه الفرصة التاريخية وعدم السماح لأعداء السلام بالنجاح والخروج عن خط عملية السلام في هذه المرحلة الحاسمة وسيؤدي ذلك ليس فقط إلى تعزيز أنشطة القوة المعارضة المتطرفة وسياسات الهلاك واقتصادياته وإنما أيضا إلى تهميشنا فعليا " .

ويرى سمو الأمير الحسن أن معاهدات السلام ليست هي نهاية الأمر ، وإنما هناك بعد مستقبلي مرتبط بها ، فالمعاهدة بحد ذاتها ما هي إلا البداية لدفع عجلة التفكير والتوجه نحو القضايا الداخلية الأساسية التي ربما ساهمت الحالة السابقة بعدم إعطائها الوقت الكافي. فمعركة السلام لم تنته بالمعاهدات ، وإنما قد بدت الفرصة سانحة في عهد السلام الجديد للنظر للمستقبل وهو حصيلة ما تصنع ، فهذه الفرصة فريدة تمكننا من تطبيق وجهات نظرنا والمساهمة في صياغة شرق أوسط جديد . ويرى أن السلام مسؤولية مشتركة بين الجميع أن تحقق لشعوبنا أن هذا الوعد أن السلام حالة لا تقبل التجزئة ، فلا بد أن يكون تاما إذا ما أريد له أن يكون حقيقيا ، ولا بد أن يكون عادلا إذا ما أريد له أن يكون ذا ديمومة ، ولا بد أن يكون ملموسا إذا أريد أن يكون ذا فاعلية. إن من شأن السلام أن لا يقبل الإنقسام وعليه أن يمس حياة الجميع صغاراً وكباراً ، ذكوراً واناثاً ، وبصرف النظر عن اللون والعرق أو العقيدة كما أن له تأثيراً على شتى الظروف الطبيعية منها

والنفسية على حد سواء . فضلا عن ذلك فإن من شأنـــه أيضـــا إزالـــة الحواجز الحقيقية منها والوهمية .

فنظرة صاحب السمو الملكي للسلام تكمن في التركيز على البعد الشمولي الذي يحتوي جوهره البعد الإنساني للسلام، فالسلام لديه يشكل حالة غير قابلة للتجزئة والإنقسام. سلام شامل عـــادل يشمـــل الجميـــع ويشارك به الجميع ويلمسه الجميع ويتناول كافة الأبعـــــاد الاقتصاديـــة والاجتماعية والنفسية . فالسلام الذي يراه الحسن بن طلال هو الســـلام الذي يقوم على فكرة المصلحة المشتركة التي تعتمد على علاقة إيجابية بين شعوب المنطقة ، فعلاقة الشعوب بعضها ببعضـــــها الآخـــر هـــي الجانب الأكثر أهمية في عملية السلام . والسلام المطلوب ليس الســـلام بين الحكومات إنما السلام الموجود في قلوب الأفراد والناس .

يربط سمو الأمير الحسن مرحلة ما بعد معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية والتي بدأت بمفاوضات مدريد بين الوفـــود العربيـــة ووفـــد إسرائيل من أجل التنمية الشاملة في المنطقة ، ويؤكد على أن الســـــلام الحقيقي يجب أن يرتبط بخلق الفرصة تلو الفرصة للشعوب العربيـــة التي تعيش بكرامة وحرية ، وتتخلص من الأعباء المضنية التي خلقتها حاله العداء بين العرب وإسرائيل والتي جعلت قسماً كبيراً من المـــوارد في جميع أقطار الصراع تتجه نحو بناء القدرة العسكرية ودعم المجهود الحربي، وكل هذا على حساب التنمية والرفاه وأبسط ما يمكن أن يقتات

به الإنسان العربي . يقول سموه " إنْ نحن أحسنا التعامل مـــع أزمتنـــا ووحدنا صفوفنا لاحتواء الأزمات المحيطة بنا ، فإن لنـــا متســـع مـــن الطريق المؤدي إلى تحقيق الحلم الكبير ، والمفاوضات السلمية الجارية بين العرب وإسرائيل تشكل مرحلة من مسيرة الأمة وعلينا أن نقتنع كل القناعة بأن السلام معركة لا يفوز بها المفاوض بل تفوز بـــــها الأمـــة متكافلة متضامنة ، وإن تحقيق السلام المنشود الذي نرجو هو الســـــلام العادل والشامل والمستمر. ولقد وفرنا للفلسطيني مقاماً أمنياً وحقه فـــي ممارسة حقوقه دون رقيب أو دخيل، فإننا نكون قـــد أنجزنـــا عمـــلاً كبيراً، وهيأنا المناخ للأمة العربية كلها لكي تكـــرس طاقاتـــها للبنـــاء والنمو، أن الثقة التي نكتسبها من تجربة السلام الدائم والعادل الشـــامل ستكون عوناً لنا على حل المشاكل الأخرى التي تواجهـــها مجتمعاتنـــا وهي لا تقل خطورة عن المشكلة الفلسطينية ، مثل الفقر والجهل .(1)

إن المرحلة التي تلي السلام يجب أن تنصب على محاولة بنـــاء الإنسان الذي هو المحور الأساسي في عمليات التنمية المجتمعة وهـــو حجر الرحى الذي نصبو إليه .. فهو الغاية والوسيلة، وهو القادر بمـــا كرمه الله به على أن يبني ، فهو في نهاية المطاف المعلـــم والتلميـــذ ،

---

(١) الحسن بن طلال ، نحو نظام عربي جديد : ورقة عمل مقدمة الى ندوة المنتدى العربي حول النظام العربي ، عمان ١٩٩١/٧/٣ ص٢٣ .

الباني والساكن العامل وصاحب العمل ، المفكر والقارئ ، فماذا أعددنا له ؟

هل من المعقول ، لقد كنا في الماضي نعزي الأزمات إلى حالة الحرب مع إسرائيل وعلى وجه الدقة حالة المواجهة معها أما اليوم وقد حل السلام فهل من المعقول أن تتخلف الأنظمة العربية عن محاربة الجهل والامية ومقارعة الجوع وبناء الإنسان السوي صحيح العقل والروح والبدن والمعاملة ؟ إن أي نظام مهما كان لا يسعى إلى صلاح الإنسان لا يكتب له النجاح ، ولا تتهيأ له فرصة البقاء ، فليكن الإنسان العربي الهدف والوسيلة ، فلا نلوث فكره ولا نفسد ذوقه ، ولا نهدم ثقته ، ولا نقلل ولا ننكر عليه إبداعه وحقه في العيش الكريم .

إن مرحلة ما بعد السلام تعني أنه يجب ربط شعوب المنطقة بمجموعة من التفاعلات الإيجابية بين الشعوب ذاتها بهدف خلق القناعة المتبادلة لهذه الشعوب بأهمية السلام ، وأهمية الحفاظ على مكاسبه الأمر الذي يجعل من هذه الشعوب تقف معا في خندق واحد هو خندق الدفاع عن السلام ضد تلك الفئات التي قد تحاول بشكل أو بآخر أن تقوض هذا السلام وتزعزع أركانه .

ومما سبق فإن نظرة سمو الأمير الحسن لمفهوم السلام العادل و الشامل تتعدى تلك النظرة التقليدية للمفهوم ، فالسلام ليس قراراً سياسياً خلقته الحكومات ، إذ لا يمكن أن يرى هذا السلام الحقيقي من حرارة

المصافحة بين القادة السياسيين ، وإنما يخلــق الســلام عندمـــا تشعــر الشعوب بدفء العلاقات بينها ، وليس عندما تبرد فوهات المدافع ولكن عندما تبرد تلك الأحقاد السالفة بين تلك الشعوب .

الفصل الثاني

قراءة في كتاب

القدس "دراسة قانونية"

سمو الأمير الحسن بن طلال

عمان - الأردن

لجنة النشر (لونغمان)

١٩٧٩م

الفصل الثاني

القدس دراسة قانونية

هدفت هذه الدراسة لتشخيص الوضع القانوني الدولـــي لمدينـــة القدس فسمو الأمير الحسن يرى أنه لا يمكن بأي حال مـــن الأحـــوال فصل المسائل القانونية المتعلقة بمدينة القدس عن الإطـــــار التـــاريخي والسياسي والاقتصادي والديني لهذه المسائل ، هذا الإطار الذي **تتجاهله** الحكومة الإسرائيلية في ظل ادعائها السيادة الإقليميـــــة علـــى المدينـــة المقدسة .

ويرى الأمير الحسن أن مسألة القدس قائمة علـــى ثلاثـــة مرتكـــزات سياسية هي :

* مسألة السيادة على المدينة .
* مسألة الحكومة المحلية للمدينة .
* مسألة الإشراف على الأماكن المقدسة داخل القدس وخارجها .

ويجب التركيز هنا على قضية مهمة تتمثل في أن قدسية المدينة لدى أتباع الديانات الثلاث سوف تكون عاملاً محفـــزاً لزيـــادة درجـــة الخلافات السياسية حول المدينة المقدسة الأمر الذي سيجعل مـــن حـــل مسألة القدس أمراً عسيراً إن لم يكن مستحيلاً ، ولذلك فإن على إسرائيل

أن تعي هذه النقطة جيدا ، خصوصا إنها تقيم ادعاءاتها في السيادة على المدينة المقدسة على عقائد وأسس دينية عميقة ومتأصلة الجذور .

ولذلك فإن على كل من يحاول دراسة الواقع القانوني لمدينة القدس أن يكون على درجة من الحياد والتجرد من المتاهات التاريخية والمعتقدات الدينية . ومع هذا فإن سمو الأمير يرى ، أنه بالرغم من أن التاريخ والدين قد أضفيا بعض التعقيد على مسألة القدس ، إلا أنهما يصيبان جانبا مهما من المسألة تستند إليها المعالجة القانونية لقضية القدس وعليه فإن هذا الامر يتطلب إبراز أهم الحقائق التاريخية حول مدينة القدس قبل الدخول في المناقشة القانونية .

ويمكن قراءة الحقب التاريخية التي مرت على مدينة القدس من خلال خمس مراحل متتالية هي :

١- **الحقبة الأولى (٤٠٠٠) قبل الميلاد :** وتبين هذه المرحلة أن اليبوسيين (إحدى القبائل الكنعانية العربية) هم أول من سكن القدس قبل أن يستولي عليها سيدنا داود عليه السلام والذي أقام مملكة إسرائيل وبني الهيكل في عهد سيدنا سليمان ، ولكن هذا الوضع لم يدم فسرعان ما تعرضت القدس إلىغزوات متتالية بدءا بالأشوريين ومرورا بالبابليين. حيث تم تدمير الهيكل وسبي اليهود الذين لم يتمكنوا من العودة إلى القدس إلا في عهد كورش ملك فارس ثم جاء الرومان وقام

أحد قادتهم ويدعى (تيص) بتدمير المدينة والهيكل تدميراً شـــاملاً هــذه المرة على عكس المرتين السابقتين .

٢- الحقبة الثانية من العهد البيزنطي إلى العهد العثماني : في هـــذه المرحلة انتقلت السيادة على مدينة القدس من الرومان إلى لاالمســـلمين بموجب عهد بين الطرفين حيث تسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطـــاب مفاتيحها من البطريرك صفرنيوس سنة ٦٣٨م ، واستمر الحكم العربي الإسلامي إلى أن استولى عليها الصليبيون وأنشؤوا فيـــها مـــا يســـمى بمملكة ما وراء البحار ، ولكنها عادت إلى الحكم الإسلامي مرة أخرى في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي وبقيت القـــدس تحـــت الحكـــم العربي إلى أن دخلت تحت الحكم التركي بقيادة السلطان ســـليم الأول ، حيث استمر الحكم التركي حتى سنة ١٩١٧ . وفي هذه المرحلة كـــان التواجد للحلفاء المنتصرين بالحرب فيها ممثلاً بالحكم الإنجليزي الذي سمي انتدابا، لكن هذا الانتداب لم يكن يعني السيادة بمفهومها القـــانوني على المدينة ، اذ أن الأتراك عندما تنازلوا عن السيادة علـــى فلســـطين بموجب معاهدة لوزان ١٩٢٣ - كان التنازل عن فلســـطين - بشـــرط وضعها في الانتداب من الفئة "أ" بمعنى استفتاء أهلها حـــول مصيرهـــا وهذا مخالف لما حدث في وعد بلفور من الناحية القانونية .

٣- الحقبة الثالثة ، عهد الانتداب (١٩٢٢-١٩٤٨) : وفي هذه المرحلة خرج الانتداب عن الأهداف المطلوبة منه حسب ميثاق عصبة الأمم حيث أن سلوك الدولة المنتدبة انصب على دعم اليهود ضد العرب بشكل غير معلن خصوصاً في اتجاهين خطرين هما دعم اليهود بالأموال عن طريق السماح لأموال يهود الولايات المتحدة بشراء أرض فلسطين التي انتزعت من السكان العرب من قبل سلطة الانتداب ، وفي الإتجاه الآخر السماح بالهجرة اليهودية إلى فلسطين حيث تزايد عدد هؤلاء المهاجرين بنسبة كبيرة .

وفي هذه الحقبة أيضا صدر قرار التقسيم الذي كان هو أيضا جائرا بحق العرب ، حيث رفضوه وقبله اليهود ، وتلاه اندلاع الحرب العربية اليهودية الأولى وكان الإنجليز قد سلموا جميع المنشأت العسكرية والمطارات لليهود بمجرد انسحابهم من فلسطين ١٤/أيار/١٩٤٨ ، مع العلم أن للإنجليز مساهمة كبيرة بتسليح المستوطنات سابقاً من جانب ونزع أسلحة العرب القديمة من جانب آخر .

٤- الحقبة الرابعة ، عهد المدينة المقسمة (١٩٤٩-١٩٦٧) : في هذه الحقبة أعلنت دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ ، وكانت القدس تحيط بها القوات العربية ومع انتهاء آخر مراحل القتال أصبحت القدس الغربية تحت سيطرة اليهود والقدس الشرقية بقيت للعرب ، وقد اتحدت القدس

الشرقية وباقي أراضي الضفة الغربية مع الأردن بموجب استفتاء واعترفت باكستان وبريطانيا بهذه الوحدة ، ولكن بريطانيا استثنت القدس القديمة من هذا الإعتراف غير أنها عادت واعترفت بالسيادة الأردنية على القدس اعترافا فعليا وهو نوع من الإعتراف المحكوم بأرض الواقع .

ولكن إسرائيل عادت واستولت على مدينة القدس أثناء حرب حزيران عام ١٩٦٧ حيث بدأت مع هذا الإحتلال مرحلة جديدة .

٥- المرحلة الخامسة ، عهد المدينة الموحدة (١٩٦٧-١٩٧٩) : وقد بدأت هذه الحقبة باحتلال إسرائيل لكامل أراضي القدس والضفة الغربية، وقد عاملت إسرائيل مدينة القدس وضواحيها وكل ما يتبع لها من قرى بصورة خاصة حيث طبقت عليها القوانين والإدارة الإسرائيلية على اعتبار أنها جزء لا يتجزأ من أرض إسرائيل .

وقد بدأت إسرائيل التغيير في معالم المدينة وإنشاء الوحدات السكنية والطرق والخدمات وتم إسكان المزيد من المهاجرين الجدد واعتدت إسرائيل على حرمة الأوقاف وصادرتها لاستخدامها لأغراض عادية .

كل هذه المسلكيات الإسرائيلية سرت بتجاهل قرارات الأمم المتحدة الصادرة بالأغلبية الساحقة، لقد تعاملت إسرائيل مع القدس وكأنها تتعامل مع عاصمتها الأبدية .

إسرائيل والأماكن المقدسة : ادعت إسرائيل أن الأماكن المقدسة تحظى بالحماية الكافية بموجب قوانين صادرة عن الكنيست الإسرائيلي تتعلق بالقدس في ٢٧/حزيران ١٩٦٧ مثل قانون حماية الأماكن المقدسة .

ولكن مؤتمر اليونسكو وجه مجموعة من الإنتقادات الخطيرة وعبرت اليونسكو عن استيائها من أعمال إسرائيل في القدس خصوصا في عام ١٩٧١، حيث أهابت اليونسكو في كانون الأول من هذا العام بإسرائيل أن تحافظ على أوضاع الأماكن المقدسة والمواقع الدينية والممتلكات ذات السمة الحضارية وخاصة في المدينة .

المسائل القانونية

القدس ومسألة السيادة : تقيم إسرائيل أحقيتها في السيادة على مدينة القدس من منطلقات دينية وتاريخية على الرغم من أن القانون الدولي يفض مثل هذه الدعاوى في السيادة القائمة على فطرة دينية وتاريخية على الرغم من قد تلعبه هذه العوامل من تأثير على القانون الدولي في مسألة السيادة وأبعادها المختلفة .

إن الحديث عن السيادة يجب أن يأخذ بعين الإعتبار مسألة مهمة تكمن في أن السيادة لا تقف عند حد القول بامتلاك أراضٍ ما من قبل

دولة ما بل يجب الأخذ بعين الإعتبار مدى حرية ممارسة السلطة على تلك الأرض إلى جانب التغيير الحاسم في جنسية شعب بعينه وولاء هذا الشعب وأسلوب حياته .

إن السيادة على أرض ما أو مدينة ما يجب أن لا تعني بأي حال من الأحوال انتزاع تلك السيادة وإقامتها على أساس حربي كما فعلت إسرائيل مع مدينة القدس ،فالقدس وحسب اتفاق دولي كانت تابعة من حيث السيادة للدولة العثمانية قبل سريان معاهدة لوزان ١٩٢٣ ولم تفسر معاهدة لوزان بالتنازل عن السيادة فيها لأي طرف سواء كان بريطانيا أو حتى عصبة الأمم .

وبهذا المعنى فإن السيادة في القدس والتي تنازلت عنها الدولة العثمانية لا يمكن أن تنتقل سوى لأهل القدس أنفسهم بمجرد سريان التنازل العثماني عن السيادة وهم السكان العرب ، وهذا يمكن أن يعزى إلى مبررين أساسيين هما :

١- إن الهدف من نظام الانتداب حسب ميثاق أو ما يسمى عهد عصبة الأمم في المساهمة في رعاية ورفاهية تلك الشعوب الواقعة تحت الانتداب بهدف تأهيلها وإعدادها لتلك اللحظة التي تكون لها فيها الحق بتقرير المصير واختيار الواقع الدولي الذي ترغبه ، ولذلك فإن من حق

أهل القدس وأهل فلسطين وهم في تلك الفـــترة مـــن العـــرب مصيرها ومصيرهم .

والحلفاء يتضمن أن توضع القدس بعد أن تتنازل الدولة العثمانية عـــن السيادة فيها تحت نظام الانتداب على أن يكون في حالة فلسطين انتدابـــا من الفئة "أ" والتي يكون فيها وظيفة المنتدب تكمن فقـــط فـــي إســـداء المشورة الإدارية والمساعدة من قبل دولة الانتداب لهذه الشعوب إلى أن تتمكن من النهوض بأمورها وحلها ، ويجب أن تكون رغبات الجـــهات اعتبارا أساسيا في اختيار دولة الانتداب ، فمن باب أولى أن يكون لهذه الجماعات اختيار دولة السيادة .

السيادة على القدس بعد انتهاء الانتداب : قبيـــل انتـــهاء الانتـــداب البريطاني على فلسطين أبلغت الأمم المتحدة بهذا الأمر، وعندها صدر قرار التقسيم الذي قسم في ٢٩/تشريـــن الثـــاني/١٩٤٧م البـــلاد إلـــى منطقتين عربية ويهودية على أن تكون القدس منطقـــة دوليـــة (تحـــت إشراف دولي) وقد رفض العرب القرار ووافقـــت عليـــه إســـرائيل إذ جعلت مـــن هـــذه الموافقـــة ثمنـــا لقبـــول الإعـــتراف بـــها كدولـــة في١٤/أيار/١٩٤٨ وقبولها في الأمم المتحدة ، وبالتالى فـــإن دعـــوى إسرائيل بعدم وجود أثر قانوني لقرار التقسيم لأنه رفض من قبل العرب

هو أمر مرفوض وغير صحيح قانونيا لأن إســرائيل ربطــت آنــذاك الإعتراف بها كدولة بقبولها بقرار التقسيم .

ومن جانب آخر تدعي إسرائيل أن قرار التقسيم قد أحبط نتيجة ســقوط ثلاثة من عناصره الأربعة الأساسية المكونة له وهي :

١- عدم قيام دولة عربية داخل فلسطين وبالتالى لم يتسن قيــام اتحــاد اقتصادي بين الدولتين .

٢- والمسألة الثانية ، عدم قيام اتحاد اقتصادي بيــن دولتيــن عربيــة ويهودية ،كما ذكرنا أن اشتباك القوات العربية العسكرية مع اليهود ، قد أدى لاحتلال أراض إضافية خارج تلك الحدود المقررة .

وهذه الحجج غير صحيحة لأن قيام دولة يهوديــة كــان علــى أساس اعترافها بقرار التقسيم القاضي بأن القدس ليست جزءا من الدولة اليهودية .

كما أن مزاعم إسرائيل بأن إجبارهــا علــى القتــال أدى إلــى احتلالها لأراضي غير أراضيها خصوصا مدينة القدس الغربية لا يعني بأي حال من الأحوال أن هذه الأراضي أصبحت أراضي تابعة لها لأنه يخالف منطق الأمم المتحدة القائم على أساس عدم جواز احتلال أراضي الغير بالقوة، وعكس هذه الحقيقة هو تكريس لشرعية الإحتلال .

السيادة على القدس بين عام ١٩٤٨-١٩٦٧ : بعد عـــام ١٩٥٠:

أصبح هناك وحدة بين الأردن والضفة الغربية التي أصبحت جزءاً من الدولة الأردنية ، وعليه فقد قامت بريطانيا بـــالإعتراف بـــالوحدة بيـــن ضفتي الأردن ، ولكنها استثنت من هذا الإعتراف مدينة القدس القديمة، وقالت إنها منطقة دولية ولكن الأردن يمارس السلطة الفعليـــــة عليـــها ولكنه لا يمارس السيادة عليها .

وبنفس الاعتبار أخذ ذلك على إسرائيل إذ قالت بريطانيا إنها تمــــارس سلطة فعلية على القدس الغربية ولكنها لا تمارس السيادة عليها وذلـــك لأنها منطقة دولية لم يتم تحديد مصيرها بعد من قبل الأمم المتحدة .

وفي مثل هذه الحالة فإن الوضع القانوني يتجاوز الفكرة المثارة حول أن الغازي يملك حقا بموجب الغزو على الســـيادة علـــى الأرض التي غزاها.

ولكن ماذا لو كان هذا الغازي حائزا تماما على السلطة الإقليمية ولكن لا يمكن إخراجه فهل يكتسب حق التقادم على مـــا يشغـــل مـــن أرض، لا شك أنه في مثل هذه الحالة سوف تقود الأمور إلـــى مشكلـــة جديدة وهي بداية حساب هذا التقادم .

السيادة الإقليمية على مدينة القدس بعد حرب حزيـــران ١٩٦٧:

وفي هذه المرحلة تبدو الأمور أكثر وضوحا فمنذ عـــام ١٩٦٧ بـــدأت

إسرائيل تتصرف في المدينة وكأنها ذات سيادة عليها كجزء من أرض إسرائيل، فقد غيرت في معالم المدينة وأدخلت عليها المزيد من العمارات والسكان اليهود .

ولكن الموقف الدولي من هذا السلوك الإسرائيلي كان واضحا وصريحا ومجمعاً عليه، إذ توالت قرارات الأمم المتحدة مطالبة إسرائيل بالتوقف عن التغيير في معالم المدينة وإيقاف جميع القرارات التشريعية والبلدية الصادرة بشأن المدينة ، وأعلنت الأمم المتحدة بصراحة أن إسرائيل تنتهك باستمرار القانون المنظم لاحتلال الأرض التي كانت تخضع لسيادة الأردن وإشرافه في الماضي .

احتلال المدينة القديمة (النظرية) : تدعي إسرائيل أن احتلالها لمدينة القدس القديمة لا يمكن وصفه باحتلال عسكري، لأن القدس لم تكن تحت السيادة الأردنية باعتراف دولي، وعليه فإن إسرائيل لم تنتزع السيادة من دولة أخرى، وعليه فإن القدس ليست مدينة محتلة من قبل إسرائيل ، وإذا صحت هذه الادعاءات فإن ما هو وارد في قرارات الأمم المتحدة بأن إسرائيل لا تتوقف عن الإنتهاك المنظم لقانون الإحتلال المنظم لاحتلال أرض العدو ، بموجب معاهدة جنيف الرابعة سنة ١٩٤٩ مثلا لن تقوم على أساس سليم ويمكن تجاهلها .

مع العلم أن المادة الرابعة من إتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩ تقتضي وتهدف إلى التمييز بين الإحتلال والسيادة فالإحتلال يمنح الدولة المحتلة سلطة مؤقتة ومحددة تطالب معه الدولة بالعمل لخير الشعب الذي يقع تحت احتلالها ولا يمكنها ضم تلك الأراضي التي تحتلها أو تدعي السيادة عليها .

إلا أن إسرائيل عكست الأهداف المتوخاة من هذه الإتفاقية فهي سعت لإسكان اليهود في القدس، وقامت بتغيير معالم المدينة وأقامت الوحدات السكنية لإسكان المستوطنين. كما والأخطر من ذلك ضمها للمدينة وممارسة السيادة عليها إلى جانب قمعها للمواطنين العرب تحت الإحتلال .

احتلال المدينة القديمة (القانون والتطبيق) : ويشير هذا الجزء إلى انتهاك إسرائيل لاتفاقيات لاهاي لسنة ١٩٠٧، والتي تعالج مسألة وجود احتلال دولة لأراضي دولة أخرى محتلة .

وتقضي المعاهدة بحماية الإنسانية ممثلة بأفراد المجتمع المحتل وحماية الممتلكات تحت الإحتلال ، وتنفيذ أحكام المعاهدة على مثل هذه الحالات بعد سنة من انتهاء العمليات الحربية وبقاء الإحتلال ، ولكن إسرائيل تنكر أي ضم للمدينة أو المدينة القديمة ، ومثل وجود إسرائيل في المدينة إن لم يكن هذا الوجود من قبيل الضم وهل أرض القدس هي

ومنذ انتهاء الانتداب أرض مباحة ، وهل اكتسبت إسرائيل أحقيتها بالسيادة على المدينة بالتعزيز والتقادم ؟

ومؤدى التعزيز التاريخي هو في جوهره الإظهار المستمر والسلمي للسيادة الإقليمية (سلمي بالنسبة للدول الأخرى) يعادل الحق بالنسبة للدول الأخرى من حيث القوة كما تظهر السيادة الإقليمية بتضمن الإنفراد بحق إظهار أعمال الدولة .

ومن هنا فإن الحقائق والوقائع التي بموجبها اكتسبت إسرائيل سيطرة فعلية على المدينة القديمة تنفي أساس أي عملية للتعزيز التاريخي للحق، إذ بقيت كل من إسرائيل والأردن (١٢) سنة منذ عام ١٩٦٧ في حالة حرب إحداهما مع الأخرى . وقد وصفت مجموعة الدول ، بوساطة الأمم المتحدة وجود إسرائيل في مدينة القدس بأنه عبارة عن "احتلال" ولم يكن الإظهار السلمي والمستمر للسيادة الإقليمية سمة مميزة للنظام السياسي الإسرائيلي في المدينة القديمة خلال الأعوام الإثنى عشر الماضية (١٩٦٧-١٩٧٩) ولم يكن كذلك يقينا بالنسبة للأردن، ومن هنا فإن حق إسرائيل في السيادة الإقليمية على المدينة القديمة غير قائم على أي أساس من الصحة، والعكس من ذلك إن أي دولة لم تعترف لإسرائيل بالسيادة وما حدث هو الإنكار والتنديد الدائم من قبل الأمم المتحدة بوجود إسرائيل في المنطقة وعملياتها هناك .

المخالفات القانونية

١- **ضم المدينة القديمة :** إن ضم مدينة القدس القديمة من قبل إسرائيل هو عمل غير قانوني، ومخالف لمعـــاهدة جنيـف الرابعـة المتعلقـة بالاحتلال لأراضي العدو، وعليه فإن القوانين الثلاثة التي سنها الكنيست بشأن " التوحيد البلدي " مع القدس الغربية هو عبارة عن ضم يختلـف ويتميز عن الاحتلال .

٢- **التوحيد البلدي للمدينة :** يعتبر " التوحيد البلدي " للقدس القديمة مع القدس الغربية مخالفة خطيرة لاتفاقية لاهاي ســنة ١٩٠٧، حيـث إن المادة (٤٣) من هذه الإتفاقيات تنص على وجوب احترام الدولة المحتلة للقوانين النافذة في قطر ما لم يكن هناك صعوبات مطلقة تحـول دون هذا الأمر ، ولكن إسرائيل قامت بتحويل كافة التشريعات فـي المدينـة إلى ما كانت تطبقه من قوانين وأنظمة في المدينة الغربية، وقد كان هذا التعارض أساسياً بين اتفاقات لاهاي ونظام إسرائيل القانوني والإداري ويبطل الإجراءات البلدية التي اتخذتها إسرائيل، فلم تحل إجـراءات أو اعتبارات عسكرية بينها وبين احترام القوانين الأردنيـة السـارية فـي المدينة ولم يقتض الأمن والنظام العام توحيد الخدمات البلدية وأعمـال الهدم والبناء التي جرت في المدينة القديمة وحولها عام ١٩٦٧ .

٣- هدم المباني والعقارات الخاصة : لقد خالفت إسرائيل نص المادتين (٤٦) و (٥٣) من معاهدة جنيف لعام ١٩٤٩ المتعلقتين بحماية ممتلكات المدنيين تحت الإحتلال، فانتهاك المادة (٤٦) جاء عن طريق مصادرة الأراضي التي يملكها العرب في مدينة القدس في حين أن مخالفة المادة (٥٣) جاء من خلال هدم بعض المباني التابعة للسكان العرب، وفي كثير من الحالات إجبار هؤلاء على ترك مبانيهم بكل الوسائل لغاية التغيير في الواقع الديمغرافي للمدينة عن طريق زيادة عدد سكان المدينة من اليهود وخفض نسبة السكان العرب فيها .

٤- تدمير الأملاك الخاصة على سبيل العقوبة الإدارية : إن مثل هذا الأمر يشكل انتهاكا خطيرا لاتفاقية جنيف، إذ أن المادة (٣٣) من هذه المعاهدة تحرم معاقبة أي شخص على فعل لم يقترفه ذلك الشخص بنفسه أو تدمير بيت أو نسف عقار أدى إليه المذنبون، ولكن إسرائيل كانت تقوم بهدم أي منزل يأوي إليه فدائيون ، علما أنه حتى لو كانت قوانين الطوارئ تتيح الفرصة لهذا العمل فإن اتفاقيات جنيف تحرم ذلك ولا تجيز التعليل بقوانين الطوارئ .

٥- تدمير أملاك الأوقاف أو تجريدها من طابعها الديني : ويمثل هذا الأمر انتهاكا للمادة (٥٦) من اتفاقية لاهاي لسنة ١٩٠٧، التي تحرم على المحتل التصرف بالمؤسسات والعقارات الموقوفة كدور العبادة وأعمال البر العامة ، إذ لا يجوز أن تعامل معاملة أملاك خاصة ، إلا

أن إسرائيل قامت بإزالة الكثير من هذه الأوقاف في القدس وحولتها إلى مبان لخدمة المستوطنين ومواقف لسياراتهم وصادرت الأوقاف المكرسة لدعم مصاريف المساجد .

٦- **المستوطنات الإسرائيلية في المدينة القديمة وحولها** : لقد قامت إسرائيل باستخدام كافة الوسائل المتاحة لديها بدءا بالقهر والإجبار وانتهاء بالإغراء في سبيل إفراغ المدينة المقدسة من السكان العرب وإحلال السكان اليهود محلهم عن طريق تهجيرهم إلى الضفة الغربية ومصادرة أراضيهم وكل هذا في محاولة للإخلال بالتوازن السكاني في القدس وملكية الأرض واقتصاد المنطقة .

وقد انتهكت إسرائيل بهذا الإجراء اتفاقية جنيف الرابعة في مادتها (٤٩) والتي تنص على أنه لا يجوز للاحتلال نقل فريق من سكانه المدنيين إلى الأرض التي تحتلها بأي حال من الأحوال .

الأماكن المقدسة : لقد نصت وثيقة الانتداب على ضرورة أن تحمي سلطة الانتداب وتصون المصالح الروحية والدينية الفريدة لديانات التوحيد الثلاث العظمى في جميع أنحاء العالم الإسلامية والمسيحية واليهودية وعليها لهذه الغاية ضمان استتباب السلام لا سيما السلام الديني في القدس ، وحاولت إسرائيل بعد احتلالها للمدينة أن تدعي مثل هذه الواجبات تجاه المدينة المقدسة ، فأصدرت في حزيران من العام

١٩٦٧ قانون حماية الأماكن المقدسة الذي أشار إلى أن إسرائيل تعتبر نفسها الحارسة الحالية للأماكن المقدسة في المدينة القديمة .

ومع كل هذا فإن إسرائيل لم تصن حرمة هذه الأماكن المقدسة بل سعت إلى اقامة حفريات تحتها وأدت إلى ازالة وتخريب الكثير منها، وكل هذا في سبيل البحث عن أماكن مقدسة إسرائيلية مزعومة مثل هيكل سيدنا سليمان الذي تشير كل التقارير إلى انه بعيد عن الأماكن التي تحفر فيها إسرائيل وهو في الأصل غير موجود لأنه دمر من قبل الرومان. ومع هذا استمرت إسرائيل في تخريب الأماكن المقدسة وما كان من إسرائيل إلا أن ضيقت على من يحاولون الوصول لهذه المقدسات من أتباع الديانات الأخرى الذين كانوا يؤدون صلواتهم تحت تواجد أمني إسرائيلي مكثف وكأنها ثكنة عسكرية .

كما أن ادعاءات إسرائيل حول أحقيتها في الأماكن الدينية في القدس باطلة ، ذلك أن تواجد العرب من مسلمين ومسيحيين كان اكبر من الطائفة اليهودية مع ذلك سعت إسرائيل وحتى وعد بلفور الى وصف المسلمين على أنهم اقلية في فلسطين.

النتائج :

١- إن أهم النتائج التي وصل إليها هذا الكتاب أن إسرائيل في جميع سلوكاتها تجاه القدس قامت بسلسلة طويلة من الانتهاكات للقوانين والأعراف الدولية في تعاملها مع المدينة علاوة على ذلك أن احتلال إسرائيل للمدينة المقدسة هو في الأساس أمر غير شرعي وغير قائم على اساس من الصحة .

٢- لا شك أن أي تسوية لمستقبل المدينة ستشكل جزءاً من تسوية عامة لمستقبل السكان في الأراضي المحتلة وعودة اللاجئين أو تعويضهم عن أراضيهم ومبانيهم التي انتزعت منهم، هذا بالإضافة إلى الدور الذي ستلعبه منظمة التحرير الفلسطينية ومع احتمالية ظهورها كدولة عربية في فلسطين .

٣- أهمية التركيز على مبدأ ويلسون الذي صيغ عام ١٩٤٥ ضمن ميثاق الأمم المتحدة والقاضي بحق الشعوب في تقرير مصيرها . إن مثل هذا المبدأ لا بد أن يؤثر في الصياغة والواقع القانوني لمدينة القدس، فمثلما أعلنت منظمة التحرير في ميثاقها عام ١٩٦٤ أنها سوف تتخذ من هذه القاعدة منطلقاً لها في تحرير فلسطين ، وعلى هذا فإن مسألة القدس يجب أن تنطلق من هذا الاعتبار إذ أن لسكان القدس

العرب الحق في تقرير مصيرهم ومصير مدينتهم وليس لإسرائيل أن تقرر هذا الامر بالنيابة عنهم .

٤- إن مرور الزمن على جميع الأطراف التي لها علاقة بقضية القدس، ربما يجعل من هذه الاطراف تسير في دوامة اجترار مظالم الماضي أو المطالبات القانونية الحالية والمطالبة على الارجح بحقوق السيادة الاقليمية على المدينة ، في ظل هذا فإن أي محاولة لفرض حلول بوساطة النزاع المسلح قد برهنت على ان مثل هذا الامر لم يكن في يوم من الأيام سوى ذلك الذي يجلب إلىالمنتصر عدم الاستقرار ويخلق له جوا عدائيا من جانب الأسرة الدولية والمجتمع الدولي .

وربما تكون الحاجة النابعة من تشابك وترابط مصالح الدول في الشرق الأوسط قادرة على تجاوز تلك المواقف المتضاربة حول السيادة الإقليمية، أو الترديد الدائم للمظالم والإصرار الدائم على تكريس العدائية التي تعيشها بلدان الشرق الاوسط ، ولا شك ان المصالح المشتركة والحاجة إلى التنمية المشتركة هي الوسيلة المثالية لإقامة السلام .

الفصل الثالث

قراءة في

السعي نحو السلام

الحسن بن طلال

عمان /١٩٨٥

الفصل الثالث

السعي نحو السلام

يقع الكتاب في (١٨٩) صفحة من القطع المتوسط ويحتوي على أربعة فصول رئيسية هي : العرب – لمحة تاريخية ، العملية السياسية، العربية الاقتصاد السياسي والسعي نحو السلام ، بالإضافة إلى ملحق ومجموعة من الخرائط التوضيحية تمثل مراحل تاريخية مختلفة للمنطقة.

يهدف سمو الأمير الحسن من كتابه هذا إلى تحقيق فهم أفضل لسعي العرب نحو السلام، بالإضافة إلى محاولة للإجابة عن العديد من الأسئلة التي تهم العرب جميعا وهي: " من أنا ؟" ولمن أنتمي ؟... و " كيف أواجه المستقبل ؟".

والهدف العام من الكتاب هو تحطيم أنماط الصور الذهنية المقولبة "الستيريوتايب" حول العديد من القضايا التي تشغل بال العرب والعالم.

وجاءت هذه المحاولة الجادة من أمير متمرس مدرك، قادر على إعطاء صورة حقيقية لفهم أوضح للقضايا العربية وآمال الشعب العربي، ويدرك القارىء لصفحات الكتاب أننا أمام مدرسة ذات دراية

كاملة بتاريخ الأحداث وطبيعتها وتحمل فـــي طياتـــها وميـــض رؤيـــة مستقبلية من خلال واقع المنطقة التي نعيش.

في بداية الكتاب يوضح سموه طبيعة الواقع العربي من حيث إن هناك حروبا معلنة على الهوية القومية العربيـــــة، مـــن قبـــل إيـــران، وإسرائيل على سبيل المثال، وأن طبيعة الأوضاع العربية قائمة علـــــى الصراعات والنزاعات حول العديد من القضايا وهذا بدوره يؤدي إلـــى عدم استقرار المنطقة برمتها. ويرى سموه أن المحور الرئيسي لعمليـــة الاستقرار في منطقة الشرق العربي يعتمد اعتمادا مباشرا علـــى حـــل القضية الفلسطينية، من كافة جوانبها بطريقة شمولية وعادلة. وهذا هو الطريق الوحيد لتحقيق السلام الذي ينشده العالم بأسره .

ومن خلال الفصل الأول يحاول المؤلف إعطاء فكرة عامة عـــن الإنسان العربي و المراحل التطويرية التاريخية التي مر بها في تكوين شخصيته وطبيعته العقلية ، بالإضافة إلى استعراضه البعـــد الشمولـــي للدور الذي قام به الإسلام في توحيد هذه الأمة ،وكان الخطوة الأولـــى في إقامة نظام اجتماعي شبة قبلي يعرف بالأمة الإسلامية.ثم يتعـــرض إلىالأطماع الاستعمارية في المنطقة ،ووعد بلفور في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين والدور الذي لعبته العائلة الهاشمية ومواقفها الثابتـــة في الثورة العربية الكبرى والفترة التي تلتها .

في الفصل الثاني من الكتاب يتحدث سموه عن العملية السياسية في العالم العربي ، حيث بدأت رغبة العرب المعاصرين في خوض تجربة التحديث السياسي ، وهذه المحاولة اتصلت اتصالاً مباشراً مع الغرب الأوروبي ، والتمس العرب إصلاح النظام السياسي التقليدي، ولكن هذه المحاولة جاءت مغايرة للأماني و الآمال العربية، حيث إن شروط الحرب العالمية الأولى كانت صدمة مخيبة لكل طموحات العرب ، ومنذ ذلك الحين ، استحوذ على العملية السياسية العربية مظهران من مظاهر التسوية التالية للحرب. أولهما تقسيم الأراضي العربية إلى مناطق " نفوذ " بصورة جائرة وهو الذي تمخض عنه النظام الحالي للدول العربية، والمظهر الثاني تمثل في فرض السيطرة الغربية بحجة " الإشراف" "والتوجيه" وجاء هذا تحقيقاً للمصالح الأوروبية في المنطقة . وكان رد الفعل العربي متمثلاً في الدعوة لإقامة وحدة فورية وإلى استقلال الشرق العربي استقلالاً تاماً ، وهذه تمثل إحدى مرتكزات الثورة العربية الكبرى بقيادة العائلة الهاشمية. ويستعرض سموه التطور التاريخي للعملية السياسية في الشرق العربي وعملية الوحدة العربية، وطبيعة العلاقات والمعاهدات بين الدول الأوروبية المستعمرة والدول العربية المسيطر عليها من قبل تلك الدول. ثم يتحدث عن ظهور جامعة الدول العربية والدور البريطاني في إنشائها، حيث يرى أن الجامعة العربية لا تمثل تكامل العرب ولا تفي

بطموحاتهم . ثم يلقي الضوء على الدور السياسي لجلالة المغفـور لـه الملك عبد الله بن الحسين في موضوع الوحدة العربية الذي مـا فتـيء يعمل على إعلان وتأييد الوحدة العربية إلى أخر لحظة من عمره حين اغتيل في القدس الشريف وهو "الرجل الذي نجح فـي حمايـة القسـم الأكبر من فلسطين العربية لأهله العرب" .

يتابع المؤلف الحديث عن مرحلة الخمسينات حيث برز الطـابع الراديكالى على الانظمة العربية .

و يصف سموه الفترة الواقعة ما بين ٥٨-١٩٦٧ بقوله بأنها فترة "اتصل فيها التنازع بين العرب وتبديد ثرواته وانشغل العـرب بجـدل عقيم حول ما يتعين عليهم أن يصنعوه بعدوهم عوضاً عن أن يشغلـوا أنفسهم بما يستطيعون صنعه لأنفسهم" إذ تمثلت هـذه الفـترة بازديـاد النزاعات العربية التمزق العربي . وفي هذه الفترة تم إنشـاء منظمـة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٦٤. ويرى سمو الأمير الحسن أنه " بسبب سياسات منظمة التحرير الفلسطينية وعلاقاتها بالدول العربية ، انصرف الاهتمام عن العملية السياسية العربية وتحول اتجاه الطاقات الجوهريـة وجهة أخرى ، وهي التي كانت كفيلة بالإسهام في تطوير هذه العملية".

وأوضح سموه دور مؤتمرات القمة العربية التي لم تسـفر عـن تحسين الوضع المنكوب للفلسطينيين ولا احتوت حركتهم ولا أشبعـت أمانيهم السياسية ، ولم تحل دون قيام حروب مع إسرائيل. في ضـوء

هذا الوضع أصبح الشرق العربي يواجه مخاطر متعددة ومستقبلا أكثر مداعاة للتطير والريبة ، وباتت المنطقة مهددة بحــرب مــن الخــارج وبتجزئة والداخل وأصبح عــدم الاســتقرار ســمة ومظــهرا لــهذه المنطقة.وفي نهاية هذا الفصل يتحدث سمو الأمير عن سياسة الوسطية التي تدين بانتهاج طريق وسط مدروس ،والتي تمثل الرد الأردني على سياسات التطرف .

أما الفصل الثالث فقد أراد سموه من خلاله توضيح معالم الاتجاه العام الذي تتخذه الأحداث والاتجاهات الاقتصاديــة ومــدى تأثيرهــا ، وكيفية اتصالها باحتياجات الشعب العربي ومطالبه الأساسية ، بالإضافة إلى دراسة العوامل التي تؤثر في قيام نظام اقتصادي جديد في منطقــة الشرق العربي . ويبحث الفصل كذلك بمواضيع اقتصادية متعددة مثــل السياسة والاقتصاد ، واتجاهات فــي السياســة الاقتصاديــة والســلام والاقتصاد السياسي ، ومجيء النفط ، والمجتمــع والفــرد ، والتغــير الاقتصادي والاجتماعي الذي حصل . ففي مجال التغير الذي حصل في الأفراد يرى بعض المثقفين العرب المعاصرين بأن الضغط الاقتصادي وحده لا يكفي ويجب التعجيل في خلق مواطن عصري /متعلم /متجــه نحو العمل وعالمي النظرة وهذا النمط موجود فعلا ، ولكن – والحديث لسموه – النوع الأخر من الشخص العربي "التقليدي" موجود أيضــا ، لذلك يجب على الشرق العربي أن يعمل على تدبر أمر الصراع بيــن

الشخصية التقليدية والعصرية ، وإذا لم يتم ذلك التوازن بين النمطين فالمجتمع العربي معرض لخلل اجتماعي سياسي مصاحب للتغير الاجتماعي وقد يسبب ذلك العنف والثورة .

في إطار الإنجاز الأردني يتحدث سموه عن الاتجاهات الاقتصادية والتحديث منذ سنة ١٩٤٨ وعن الدور الأردني الذي تميز بأهمية خاصة نتيجة لموقعه الجغرافي ودوره الاستراتيجي، وهو بدوره أكبر من أهميته التي اكتسبها بفضل وجود أي من المصادر والثروة داخل حدوده ، كما تحدث عن الدور الرئيسي الذي لعبته الخطط التنموية الأردنية المتعاقبة منذ الخمسينات والتي ساعدت في تنمية مصادر المياه لاستخدامها في الزراعة وبناء وسائل النقل حديثاً، والنجاح في استيعاب التدفق المفاجئ للسكان في عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ وما بينهما وما بعدهما . والمساهمة تنمية المنطقة بأسرها من حيث توفير الأيدي العاملة المدربة .

ويتحدث سموه عن زيادة معدل نمو الناتج القومي الإجمالي والتي أدت إلى زيادة في المعدل الحقيقي لدخل الفرد بواقع ٥% في السنة عبر الثلاثين سنة الأخيرة، وقد وصل معدل دخل الفرد في سنة ١٩٨٢ في الضفة الشرقية إلى مستوى ٢٠٠٠ دولار بالإضافة إلى انخفاض معدل التضخم من ١٢% سنوياً عامي ٧٣ و ٨١ إلى٧% في عام ١٩٨٢. كما حقق الأردن خلال فترة قصيرة معدلاً من أعلى

معدلات النمو الاقتصادي بين الدول النامية حيث زاد النـــاتج المحلـــي الاجمالي بمعدل سنوي متوسط ٨% بالقيمة الحقيقية ، وكذلـــك حقــق الأردن مستوى متقدما في مجالات التحديث المختلفة، ففي مجال التعليم قطع شوطا متقدما بالمقارنة مع الدولة النامية حيث إن ٣٥% من عـــدد السكان يدرسون في المدارس ومؤسسات التعليم العالي ، وكل هذا جرى من خلال سياسة اقتصادية وسطية رغم الموارد المحددة وكثرة الأعباء على الكاهل الأردني .

في الفصل الأخير من الكتاب يتطرق سموه إلى إلقـــاء بعــض الضوء على القضية الفلسطينية والسلام والاستقرار في منطقة الشـــرق العربي ، حيث يرى سموه أن الوضع فـــي الشـــرق الأوســط يــزداد خطورة، وهذا بدوره يؤدي إلى خلق سياسة الاستقطاب فـــي المنطقــة وربما يؤدي إلى احتمال مواجهة مباشرة بين القوتين العظميين . ويعزو سموه هذا لعدم إلى ايجاد حل لهذه القضية ، حيـــث أصـــاب الفســاد والتسمم كل تطور ايجابي في السياسات المحلية . وأدى انكار الحقـــوق المشروعة للشعب الفلسطيني إلى قدح زناد موجة جديدة مـــن موجـــات العمل السياسي المتطرف القادر على تقويض مـــا تتمتـــع بـــه الـــدول الأخرى في المنطقة من استقرار اجتماعي تماما كما أدى إلـــى تدمــير النسيج الاجتماعي وسياسة الوسطية في لبنان.

أما بالنسبة إلى الموقف الأردني ملكاً وحكومة وشعباً فهو يتمثل في التركيز مبدأ السلام العادل والدائم بين العرب وإسرائيل الذي عبر عنه قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ الصادر في عام ١٩٦٧ والذي رددته مقترحات قمة فاس في عام ١٩٨٢ لتسوية القضية الفلسطينية ، وهذا الموقف الذي سعى ويسعى لتحقيقه جلالة الملك الحسين بن طلال أمر ثابت لا مجال إلى التشكيك فيه .

أما العقبة الوحيدة فهي رفض إسرائيل أن تقبل مبدأ الأرض مقابل الاعتراف وهو أساس جميع مقترحات السلام التي طرحت حتى الآن. فالسلام في الشرق الأوسط يعتمد على الاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني وفي تقرير مصيره ، اما بالنسبة لطروحات الوطن البديل فهي مرفوضة قلباً وقالباً .

إن حل أزمة الشرق الأوسط يحتاج إلى استراتيجية جديدة شاملة للسلام ولا بد من أن يوجه جهد دولي عاجل إلى المصدر الكامن للتوتر وعدم الاستقرار في المنطقة ، وأن يركز هذا الجهد بصورة أساسية على المشكلة التي لم تحل وهي مشكلة حقوق الفلسطينيين في الأراضي المحتلة ومرتفعات الجولان السورية . والأردن كما أوضح دائما على أتم استعداد للتعاون في هذا المسعى ." وأما المبادئ التي نستهدي بها في جهودنا لصنع السلام فهي الاعتراف بسيادة جميع الدول في المنطقة واستقلالها ووحدة أراضيها وهي المبادئ التي تجسدت في

قرار "٢٤٢" الصادر عن الأمم المتحدة . رغم كل هذا فالأردن مـــاض في سعيه لتحقيق السلام العادل المشرف وكذلك ماض بدوره على العمل لخلق الاستقرار في داخل المنطقة بأسرها.

وفي خاتمة المطاف ، فإن هذا الجهد من سمو الأمير الحسن يدل على إدراك وفهم لحقيقة الواقع العربي وقضاياه المختلفة ، حيث احتوى هذا الأدراك على ربط تاريخ المنطقة وشعوبها بواقعها الحالي وإعطاء نظرة مستقبلية لمعظم الاحتمالات والتوقعات التي ربما تحدث .

الفصل الرابع

القراءة في

كتاب أفكار وتساؤلات

" الحسن بن طلال "

عمان

١٩٩٠م

ملتقى الهيئة العامة لمنتدى الفكر العربي

الفصل الرابع

أفكار وتساؤلات

يحاول هذا الكتيب طرح مجموعة من التساؤلات حول واقع عقد التسعينيات من هذا القرن قبل أن يبدأ . حيث يطرح لهذا العقد صيغ التعاون العربي (العمل الإقليمي) ثم المحاولة الجادة لفهم حقيقة الواقع الدولي وانعكاسها على واقعنا العربي من خلال المتغيرات الدولية .

ويتخذ هذا الكتيب من الواقع الأوروبي شاهداً على ما يمكن أن يأخذه العرب كنموذج للتكامل الاقتصادي في ظل تجاوز إشكالات الماضي ، حيث إن اوروبا الغربية تسعى لضم وتأهيل أوروبا الشرقية لزيادة وتفعيل واقعها الاقتصادي بمعنى تأهيل الفقراء ليصبحوا أغنياء من قبل الأغنياء وهذا ما يمكن أن نفعله في عالمنا العربي .

البعد التقييمي الاقتصادي واهمية المشاركة الشعبية : إن النقطة الأساسية هنا تكمن في أهمية المشاركة الشعبية في عملية تقييم للجهود التنموية التي بذلت عبر السنوات الماضية إذ أن المشاركة الشعبية تضفي على مثل هذا التقييم روح الضمير الاقتصادي ويراد به هنا فهم الشعوب العربية لواقعها الاقتصادي فهماً عميقاً لا يجعلها فقط جانباً وطرفاً متأثراً بل يخلق منها أيضا طرفاً مؤثراً ، والاقتراح أن تكون مثل هذه اللقاءات بين الدول العربية المحيطة بدول الخليج الغنية .

نموذج الجهد المتعاضد في عقد التسعينات : الفكرة المطروحة هنا أن عقد التسعينات هو عقد التكتل الاقتصادي والعمل المشترك لخلق اعتماد متبادل وتكامل اقتصادي ، وعليه فإن المطلوب من العالم العربي السير وفق هذه المعادلة بالتعاضد واعتماد الدول العربية بعضها على بعض ، ولكن هذا الامر وإن كان مطلوبا فهو غير سهل إذ يتطلب :

١- التخلص من إشكاليات الثمانينات سواء كانت ناتجة عن الأنظمة والنخب الحاكمة أو عن ظروف أخرى قاهرة .

٢- ترتيب البيت الداخلي العربي بحل المشكلة التي تخلقها المعادلة (الإيمان ، السلطة ، الثروة) .

الاركان الثلاثة ، الإيمان والسلطة والثروة : إن مشكلة هذه العناصر الثلاثة تكمن في محاولة الادعاء باحتكار هذه العناصر أو بعضها ، فمن جهة قد تحتكر بعض الفئات السلطة دون أن تسمح لأحد بالوصول إليها بطريقة شرعية، ومن جهة أخرى قد تحتكر بعض الجهات الثروة وتصبح السيطرة المالية في المجتمع حكرا على هذه الجهات حيث يزيد هؤلاء غنى في حين يزيد غيرهم فقرا ، ويسعى هؤلاء إلى زيادة الغنى ولو كان بوسائل غير شرعية ، في الاتجاه الثالث فإن هناك فئات وهي على درجة من خطورة الفئتين السابقتين تدعي احتكار الإيمان ، في محاولة منها إلى الوصول إلى السلطة عن طريق ادعاء مثل هذا الأيمان فتحاول التشكيك بشرعية السلطة القائمة أو تدعي أنها الجهة

القادمة لتصحيح الأوضاع ومحاربة الفساد وهي في الحقيقة تسعى لمصالح شخصية بحتة .

وقد تنتقل هذه الاحتكارات الثلاثة من المستوى الفردي إلى المستوى القطري ، بحيث تظهر لدينا من الدول من تدعي النزاهة واحتكار الإيمان، وخصوصا في الإطار الإقليمي العربي من حولنا والإطار الإسلامي أيضا .

وهذه الظاهرة تكون ذات مردود سلبي إذ تقود إلى ما يمكن أن يوصف بالتشرذم بين أقطار الدول العربية وتتزعزع بذلك صورتها العالمية ، وجراء اهتزاز مركزها منفردة ومجتمعة في الأطار الدولي فإن قدرتها التفاوضية تضعف في المجتمع الدولي، ولذلك يجب أن لا تتحكم الأركان الثلاثة (الإيمان ، السلطة ، الثروة) في واقع احتكارها سلوك الدولة التي يجب أن تحدد مركزها في الاطر الثلاثة (الذاتية ، والإقليمية ، والدولية) .

إن الدولة مطالبة بإعادة ترتيب البيت الداخلي وهذه المرة بإزالة الحواجز بين أركان المجتمع (الشعب ، والحكومة). الأمر الذي يساهم في تجسيد الهوة بين عنصر الرؤية والتصور وبين عنصر العمل ، وكل هذا عن طريق التركيز على المشاركة الشعبية التي تكون بمثابة الحصانة التي تحصن المجتمع وتقويه في مواجهة الرشوة والابتزاز

كظواهر تنتج عن الغياب في المشاركة ، وبالتالى زيادة المطلبية المادية للمجتمع ، وعليه فإن هذا المجتمع يبقى عرضة لابتزاز محتكري السلطة أو الثروة أو مدعي احتكار الإيمان ، ولذلك فإن الإيمان الحقيقي يجتث الفساد من جذوره .

حلقات التعاون الثلاث : قطريا ، اقليميا ، دوليا : ويشار إلى أن البعد القطري كبداية يقتضي العمل على ترتيب البيت الداخلي ليتواكب مع متطلبات العمل الإقليمي والعمل الدولي ككل، وهذا يمكن أن يتم على شكل حلقات بحيث تعبر كل حلقة وحدها عن كلِ متجانس من الدول. مثل أوروبا الغربية ثم تليها حلقة أوسع ترتبط بالحلقة الأولى لكنها تكون أكثر هشاشة واقل قوة من الحلقة السابقة مثل اوروبا الشرقية ثم تأتي حلقة ثالثة اكثر هشاشة بالنسبة للحلقتين السابقتين مثل تركيا وقبرص ومالطا ، حيث يحافظ هذا التقسيم الحلقي على عدم عرقلة سير عمل كل حلقة على انفراد، فدخول تركيا مثلا إلىالسوق الاوروبية قبل ان تتأهل لذلك ، قد يعرقل، السوق ولذلك فإن المطلوب من تركيا الارتباط مع اوروبا بحلقة أوسع مثل (EFTA) الهيئة الأوروبية للتجارة الحرة. ومن ثم بعد أن تصبح ذات قدرة اقتصادية أكثر مثل اوروبا الغربية فيمكنها أن تقفز إلىالحلقة الأوروبية المباشرة عن طريق الانضمام إلى السوق الاوروبية المشتركة .

وهذا المنطق ينطبق على العالم العربي المطالب بـــالقفز بيـــن الحلقات حيث يمكن أن يكون هناك ثلاث حلقات تقاس علـــى التعـــامل الغربي معنا (دول الشرق العربي، دول المغرب العربي ، دول الخليج العربي) حيث يمكن لهذه الحلقات الثلاث أن تقترب من بعضـــها شيئـــا فشيئا حتى تتكامل في حلقة واحدة ذات بعد اقتصادي واحد .

ويركز الكتيب على أهمية نشوء حلقة رابعة تنشأ بين محصلـــة الحلقات الثلاث في كل تجمع دولي على انفراد ، والتركيز هنا على تلك العلاقة التي يمكن أن تنشأ بين دول حافة البحر المتوسط (MNC) وبين دول الهيئة الأوروبية للتجارة الحرة (EFTA) مع العلـــم أن لـــها مـــن التباعد في الحلقات ما يبرره، إذ يبلغ عـــدد ســـكان دول (MNC) ٢٠٦ ملايين وفي المقابل هناك ٣٢٣ مليون نســـمة فـــي مجموعـــة الـــدول الاوروبية في حين أن هناك ٣٢ مليون نسمة فقـــط فـــي دول (EFTA) ويصـــل دخـــل الفـــرد فـــي دول (MNC) ٨٣٠.١٢ دولار فـــي دول المجموعة الأوروبية ويصل الرقم إلى ٣٥٣,١٨ في دول (EFTA) وهذا يعطينا مؤشرا على أهمية وجود مثل هـــذه الحلقـــات لتجســـير الـــهوة الاقتصادية بين هذه الدول.

إن أيا من دول المنطقة لا تستطيع أن تدعي قدرتها على ضمان نفسها كنموذج للاستقرار في المنطقة بحيث يحفز التحول الاقتصـــادي،

فالمديونية لا زالت ترهق اقتصاديات الدول العربية وتعكس قلقها الدائم، فدول مثل الأردن وسوريا مثقلة بأعباء تحمل افرازات القضية الفلسطينية، وحتى إسرائيل التي تدعي أنها نموذج اقتصادي فريد في المنطقة لا تزال مثقلة اقتصاديا بأعباء الهجرة اليهودية خصوصا ما يتعلق باليهود السوفيات .

إن هناك تدفقاً للأموال من الجنوب الفقير إلى الشمال الغني وهذا يعكس طبيعة العلاقة بين الدول الصناعية ودول العالم الثالث، حيث إن العلاقة علاقة مديونية وإقراض وليست علاقة تأهيل واستثمار حيث تنفى هنا تلك العلاقة التعاضدية بين هذه الدول ، كتلك العلاقة مثلا بين المانيا الغربية والمانيا الشرقية .

إن الدول النامية الآن وفي ظل هذه الحلقة من التخلف التي تعاني منها لا تستطيع التخلص من مشكلاتها الاقتصادية إلا إذا اثبتت أنها قادرة على التكتل وإعادة تأهيل نفسها عن طريق حلقة من التعاضد بين تلك الدول تستطيع من خلالها أن تصل مع الكتل الأخرى التي سوف تقبل مثل هذه العلاقة التعاضدية مع طرف مؤهل لتلك العلاقة .

الفصل الخامس

قراءة في كتاب

المسيحية في العالم العربي

الحسن بن طلال

عمان /١٩٩٥

إصدارات المعهد الملكي للدراسات الدينية

الفصل الخامس

المسيحية في العالم

ماهية المسيحية

يقوم الدين المسيحي على الاعتقاد بأن المسيح " يسوع الناصري" يمثل في شخصه تجلي الله الكامل للبشرية . وهذا الاعتقاد هو جوهر ما يسميه المسيحيون الإنجيل او البشاره ليدل على سيرة السيد المسيح، ومصادرها أربعة من الرسل وهم ؛ "متىّ ومرقس ولوقا ويوحنا" بالإضافة إلى سجل العمل التبشيري مؤلف إنجيل لوقا " أعمال الرسل" وأيضاً " الرسائل" وأكثر النصوص تقديساً رسائل الرسول " بولس" واختيار النصوص والتعاليم كان من أختصاص اباء الكنيسة ومنهم "الآباء الرسوليون " وهناك سبعة مجامع للكنيسة المسيحية " المجامع المسكونية" هي :-

١- مجمع نيقية الأول(٣٢٥م)

٢- مجمع القسطنطينية الأول (٣٨١م)

٣- مجمع افسس (٤٣١م)

٤- مجمع خلقيدونية (٤٥١م)

٥- مجمع القسطنطينية الثاني (٥٥٦م)

٦- مجمع القسطنطينية الثالث (٦٨٠م)

٧- مجمع نيقية الثاني (٧٨٧م) .

ويعتبر يسوع ابن الله عند المسيحيين بالإضافة إلى أنه المسيح الحقيقي لبني إسرائيل والمسيحية تعد الله " ثالوثاً أقداساً فيه ثلاثة انانيم الأب الله ، الابن المسيح ، الروح القدس . وتعتبر المسيحية واليهودية أن الأسفار (٢٩) العبرية موصى بها من عند الله الخمسة الأولى تشكل التوراة وتشمل شريعة موسى الناموس ٢١ تشكل أسفار الأنبياء و ١٣ تشكل المسماة " المدونات " يعتبرها اليهود قواعد لتفسير الحياة ويسمونها التوارة الشفوية. أما المسيحيون فيعتبرونها إشارات تتعلق بمجيء المسيح .

ويشترك اليهود والمسيحيون بالعهد القديم الذي يختلف عن العهد الجديد، فالعهد القديم يشير للكتاب العبري الذي يشترك في تقديسه مع اليهود، المسيحيون، وكذلك يشير إلىالوعد بين الله المسمى يهوه أي الرب وبين شعبه في زمن إبراهيم ثم تجدد في زمن موسى والوصايا العشرة.

والفارق الأخر بين اليهودية والمسيحية أن العهد الجديد جاء للبشرية جمعاء وليس لبني إسرائيل فالجديد يلغي القديم ، وظهرت لأول مرة في كتابات الرسول بولس في رسالته إلى اهل غلاطية وكان يدعو للإنجيل الذي كما يقول: " جاء بوحي خاص " . وأول ما ظهر مصطلح المسيحية في الكتابات المقدسة العبرية يصف الملوك الذين تكرسوا

رسمياً بمسح رؤوسهم بالدهن، ولكن بعد دمار مملكة يـــهودا وبجنــوح الملوك للأمور الدنيوية ساءت أصولهم ، وبعد ذلك توالى أنبيــاء بنــى إسرائيل ، النبأ بمجيء المسيح من نسل داود يفدي الشعــب اليــهودي، وعندما بدأ يسوع الناصري يكرس المجيء بملكوت الله قبلــت دعوتــه

على أنه سليل للملك داود عن طريق والده يوسف النجار، وأنه المسيح المنتظر المخلص لهم وبعد ذلك عمد العبرانيون على تنظيم أنفسهم فـــي أورشليم كمذهب خاص بقيادة يعقوب بن يوسف أحد أخـــوة يســوع ؛ فتوجه الرومان وبدأوا باضطهادهم لانهم أخذوا يطالبون بحكم محلـــي، والخلاف بين اليهود والنصارى أن اليهود لم يعترفوا بيسوع النــاصري مسيحاً، لذلك أنكروا عليهم مذهبهم ، ومع ذلك كانوا يقيمون صلواتـــهم في كنس اليهود إلى أن أخرجهم الإمبراطور الروماني هدريـــان مــع اليهود، وبذلك انتهت سلالة أساقفة الختان . لكن مبادئ مذهبهم بقيـــت حية حيث احتفظ بعضهم باسم النصارى والأخرون باســم الأبيونييــن (فقراء) ودعوا إلى التقشف، وأن المسيح ملاك، وكان موجوداً منهم في شرق الأردن ولكن لا يعرف أصلهم أهم مسيحيون أم يـــهود؟ ويعيـد القرآن الكريم أن من النصارى من كان على حق في أن عيســى أي يسوع هو المسيح وهو ابن العذراء مريم من الروح القدس وهــو مــن أنبياء بني إسرائيل .

هذه المذاهب المسيحية سواء أساقفة الختان التي لم تدم طويـــلا ولم تكن ديناً لأكثرية، أو بولس الذي أختلف مع جماعة النصارى حول شرعية موسى والختان حيث يقول : أن مجيء يسوع يلغـــي شريعـة موسى الناموس، وبالتالى بإمكان أبناء الآمة أن يكونوا مســيحيين دون ختان، ولكن النصارى رفضوا ذلك ونجد أن مذهب بولس قـد اسـتمر وأصبح عالميا بفضل العديد من الأمور التي أتاحت لــه الاسـتمرار، ومنها انه كان مواطناً رومانياً تمتع بحرية التنقل ، بالإضافـة إلـى أن مفهومه للمسيحية كان على درجة عالية من الذكاء والشمولية والصـبر والتأقلم مع واقع السلطة في روما ، ويعتبر بولـس واضـع فريضـة " القربان المقدس" ، ولكن نجد أن مسيحيته تضمنت تعـاليم لأصوليـة معقدة أدت إلى ظهور البدع والبلبلة ، ومنها النصارى الذين رفضـوا مذهب بولس والإيمان بالعهد الجديد يحرر المواطن من العهد القديــم؛ وهذا ما رفضه كرينتوس وظهرت سلسلة من البدع الصوفية والزهدية منها بدع الرومنين امثال " مونويموس العربي" الذي يدعو للبحث عـن الله داخل الذات، ومنها أيضاً مارقيون النبطي الذي يقول إن رب المحبة في العهد الجديد لا يتساوى مع الرب الغاضب في العهد القديم، ومنـهم – المارفيون – أن اعضاؤهم على نوعين هي المستمعون والمرسومون وأخرهم يتقيد بالزهد والعفة لصالح الجماعة بأسـرها . ويقولـون أن يسوع روما على هيئة إنسان ومن البدع المسيحية أيضا بدعـه (دعـا

إليها) (ابريلوس) أن يسوع لا توجد فيه الوصيه في ذاته، ولكــن فقــط وصيته من الأب التي وصلت فيه ، بالإضافة إلى بدع (المونارطيــة) التي تؤكد على وحدة الله على حساب عقيدة الثالوث التي تعتبرها أنــها مجرد مظهر لله الواحد ، وعلى الرغم من كل هذه البــدع بقــي آبــاء الكنيسة الأكثر رصانه واتزاناً يصرون على موقـــف وســط ، فكــان المذهب القويم (الأرثوذكسي) ،واعتبارهم الذهاب في تؤيلات اللاهــوت أكثر من اللازم يؤدي إلى خطر على وحدة الصف المسيحي .

أصول قانون الإيمان (النيقاويين)

كان همّ آباء الكنيسة الأوائل تحديد الكتابات التي يجوز اعتبارها قانونية، اما الهّم الثاني ، فهو إيجــاد تحديــد وافٍ ومفصــل للإيمــان المسيحي بشهادة الجميع ، لكن هذه الشهادة نجد انها غير متوافرة فـــي مكان واحد وبشكل واضح ، وعلى العموم قبل ان يمنحــوا المعموديــة التي تدخلهم في صفوف المؤمنين كان مريدو اعتناق المسيحية يســألون ثلاثة اسئلة ؛ هِل تؤمن بالله الأب ضابط الكلّ ؟ هل تؤمن بربنا اليسوع المسيح ابنه؟ هل تؤمن بالروح القدس، والكنيسة ، وقيام الموت؟. فيعتبر الرد الإيجابي على هذه الاسئلة شهاده كافيه بالإيمان المسيحي .

ونحو سنة ٢٠٠م استعملت روما شهادة إيمان تسبق المعموديــة على هيئة ردود إيجابية على مجموعة من الأسئلة ، تطور منـــها مــا

عرف باسم " قانون الإيمان الروماني القديم " وهو أساس قانون إيمان الرسل.

والذي يقوم على الإيمان بما يلي :

١- الله الأب ضابط الكل خالق السموات والأرض.

٢- الرب المسيح اليسوع ابنه الوحيد.

٣- الروح القدس .

٤- الكنيسة المقدسة.

٥- غفران الخطايا.

٦- قيام الموت.

ولكن من آباء الكنيسة واتباعهم من ذهب إلى أبعد من ذلك لشرح العقيدة معتمداً على مبادىء لاهوتية دقيقة ، وأدى هذا إلى ظهور منازعات هددت وحدة الكنيسة. ومنها ما قاله رواد مدرسة آريوس الذين يقولون إذا كان يسوع الابن الأوحد للأب فهذا يتنافى مع التساوي في الأزلية بين الأب والأبن، وعندما اشتد الخلاف بين اتباع آريوس نودي بالإمبراطور قسطنطين الكبير على روما وقد اعتنق الديانة المسيحية واعتبرها ديانة رسمية للدولة في زمن ثيوديوفيس.

هذا وقد دعا الإمبراطور قسطنطيين الكبير " فلافيوس" إلى جمع كنسي لحل الخلاف بين الآريوس ومعارضيهم ولإيجاد تعريف رسمي

للمسيحية الأرثوذكسية الصحيحة وليصف وحدة الـذات فـي الماهيـة الجوهرية بين الأب والابن، وكانت نتيجة هذا المجمع أن إتحـد آبـاء الكنيسة ضد الآريوس ومن ثم صدر بيان حول المعتقـدات المسـيحية الأرثوذكسية الصحيحة عرف بإسم قـانون الإيمـان النيقـاوي باللغـة اليونانية ونشر باللغتين اليونانية التي تقول ان الروح القدس ينبثق مـن الأب أما اللاتينية فقد وصفت الروح القدس بأنه ينبثق من الأب(الابن)، ثم عقد الإمبراطور ثيودوسيوس مجمعا مسكونيا لمراجعة قانون الايمان النيقاوي حيث وضعت كلمة الابن بين قوسين معقوفين كما جاءت فـي النص اللاتيني.

تنظيم الكنيسة

يقال إن يسوع قد وهب سلطته الروحية الكاملة للرسل، الذيـن نقلوها إلى أتباعهم، أما ممارسة أسـرار الكنيسـة فـإنحصرت بيـن الأساقفة، والتي منها المعمودية والقربان المقدس وسر الإماتة. أما مـن ناحية التنظيم فالرئاسة بيد الأساقفة حيث يسهرون على قيـام كهنتـها بواجباتهم ولهم صلاحيات واسعة، وقد كانت الكنائس الغربية تمتعـت بتفوق بارز بسبب كونها كنـائس عاصمـة الإمبراطوريـة وتمـارس صلاحيتها على مساحات واسعة مقارنة بالكنائس الشرقية وكان يوجـد فيها تقسيمات ادارية وتسمى كل وحده ادارية بإسم الأبرشية وقسمت كل

ابريشة إلى أقسام وفي القرن الثالث الميلادي اصبح يميز بين أسقف عواصم الولايات وأسقف البلديات والمناطق الأقل اهمية، حيث يسمى الأول مطراناً ومن ثم حلت لعنة البطريرك على أسقف اورشليم وأسقف القسطنطينية في المجمع المسكوني الرابع ، وكان الاسقف بمثابة الأب للرعية وقد درج المسيحيون على مناداه الاساقفة المحببين لديهم بـ " بابا" وصارت تسمية بابا في الغرب لقباً يميز أسقف روما عن غيره من الأساقفة التابعين له وأصبح مصطلح بابا دارجاً حتى اليوم.

الجدلية حول ماهية المسيحية

ظهر هناك فريقان يتجادلان حول ماهية المسيحية بالنسبة للعلاقة بين اللاهوت (أي الطبيعة الآهية) والناسوت(الطبيعة البشرية) .

الفريق الأول يؤكد ألوهية المسيح على حساب الناسوت قائلاً إن المسيح هو الله إذا اصبح إنساناً ، والفريق الثاني يشدد على استقلاله بين الصيغتين قائلاً: إن المسيح هو الله إذا حل في إنسان ، وتبنى ارباب كنيسة الإسكندرية مقولة الفريق الأول ، وأرباب كنيسة انطاكية مقولة الفريق الثاني.

وذهب أحد اتباع ثيودوروس (نطوريوس) إلى حد الإنكار القاطع لاتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص المسيح.

هذا وكان لعقد المجمع الخلقودونية الأثر في أن يقرر بأن السيد المسيح ليس له صيغه، بل صيغتان كل واحدة لها مميزاتـــها ولكنـــهما متحدتان اتحاداً تاماً في شخص واحد هو الله والإنسان في الوقت نفسه، ولكن هذا القرار افرز نزاعاً حاداً بين المسيحيين وانشقاقاً بين صفوفهم وتوالت الاجتماعات محاولة بذلك رأب الصدع دون جدوى لأن كلا من الطرفين يحاول أن تميل الكفه لصالحه على حساب الطرف الأخر.

النزاع حول الأيقونات

السبب الرئيسي لهذا النزاع هو محاولة وقف نفوذ الرهبان لمـــا اصبح لهم من قوة ونفوذ ومال يشكل تهديداً للدولة ، فما كان من الدولة ابتداء من عهد ليون الثالث إلا المطالبة بتحطيم الأيقونات لانها تشكـــل خرقاً للعبودية ، إذ لا يجوز كما يقول أنصار هذا التيار أن تتعبد امـــام الصور التي يصفها الرهبان وهذا هو السبب المعلن والحقيقي.

ولكن كانت نتيجة هذا الصراع انتصار الرهبان ورغـــم ذلـــك خرج الأباطرة وقد ازداد نفوذهم فـــي الدولـــة وكنيســـة القســـطنطينية والتزامهم لرهبان الأديرة دون التدخل في الشؤون العامة.

الانشقاق بين روما والقسطنطينية

أسباب هذه الانشقاق المعلن هي تحطيم الأيقونات التي تقدســـها روما، والقسطنطينية تؤيد ذلك التحطيم بالإضافة إلى ميول الكنيسة في القسطنطينية إلى أن تكون خاضعة للأباطرة في حيـــن كـــانت رومـــا

خاضعة للبابوات حيث كانوا يأتون بالانتخاب وهذا يعطيـــهم شرعيـــة. وبالإضافة إلى ذلك قيام الباباوات بتوزيع الأباطرة في الغـــرب رغـــم معارضة القسطنطينية ، هذا بالإضافة إلىالأختلاف في اللغة وهذا أدى إلى أن لا يطيعوا بعضهم بعضاً.

وفي عام ٨٦٧م حدث أول انشقاق بسبب الخلاف حـــول كلمـــة الابن بين النيقاويين إلى أن قرر ليون التاسع إصـــدار الحرمـــان ضـــد بطريرك القسطنطينية وكنيسته، وهذا أدى إلى الانشقاق بين الكنيســـتين فأصبحت الأولى تسمى كنيسة رومانية كاثوليكية، والثانية أرثوذكسية.

الفرق الذي أحدثه الإسلام

بعد الانشقاق الكنسي سابق الذكر كان المسيحيون فـــي الشـــام ومصر والعراق واقعين تحت الحكم الإسلامي خاصة الموارنة، وفيمـــا بعد الملكانيون وخاصة ملكانيو أورشليم الذين قبلوا بأن يدير المسلمون شؤون الكنيسة كيفما يشاءون. أما الطائفة الملكانية في أبرشية أنطاكيـــه فكان الأمر مختلفاً لأنها تمثل للمسلمين خط دفاع أول ، لذلك لم يرحبوا بوجود قيادة مسيحية مواليه لبيزنطه. ولكن استطاع البيزنطيون في عام ٩٦٩م من الاستيلاء على أنطاكية ومعظم وادي نهر العاصي والمناطق المتأخمة له عدا حلب ، هذا بالإضافة إلى الاضطهاد الذي تعرض لـــه الموارنة على أيدي البيزنطيين لما تمكن الموارنة من الانفصـــال عـــن

الكنيسة الأنطاكية ، بالاضافة لحال الأقباط والنساطرة واليعاقبة الذين ما كانوا يستطيعون الاستمرار بالوجود لولا الفتح الإسلامي ، وكلمه حـــق تقال أن المسلمين لم يفرضوا على المسيحيين واليهود الدين في المرحلة الأولى ، لأن الاسلام اعترف لهم بحق البقاء على دينهم بشرط أن يقبلوا الذمة وضمن لهم عدم التدخل في شؤونهم ومساعدتهم في الحفاظ علـــى وجودهم وبقى وضع هذه الطوائف خاصة القبطية تخضع إما للخلافــــة الأموية في دمشق ، أو للخلافة العباسية في بغداد ، ولكن مع ظــــهور الفاطميين ظهر التنافس حيث سيطر الفاطميون علـــى مصـــر ، التـــي اصبحت مقراً لهم. أما بالنسبة لوضع الطوائف المسيحية آنذاك في الشام خاصة " الملكانيين " الذين كانوا يظهرون ولاءهم لبيزنطة اكثر مما كان يفعل ابناء الطائفة ذاتها في مصر فكان هـــذا ســـبباً خاصـــاً لتفضيـــل المسلمين يعاقبه البلاد عليهم بالإضافة إلى تعاونهم - اليعاقبـــة - مـــع المسلمين بوضع خبراتهم بيد المسلمين.

هذا وقد رحب النساطرة في العراق ترحيب اليعاقبة في الشـــام بالفتح الإسلامي وساعدوا في ترجمة النصوص اليونانية إلـــى العربيـــة خاصة العلمية منها .

وهناك أمور سلبية تتعلق بوضع الجماعتين المسيحية إلى عقوبية والنسطورية في ظل الإسلام، **أولها :** مجيء الإسلام الذي أثـــر ســـلبياً على النشاط التبشيري النسطوري في أواســـط مجـــيء اسـيا والــهند

والساحل الافريقي لأنها كانت تعتمد على التجارة بيـــن بـــلاد المحيــط الهندي والشرق الأقصى. وعندما وصلت الفتوحات إلى حـــدود الـــهند والصين أثر ذلك على النشاط التبشيري، **وثانيها** :- دخول عدد كبـــير من أبناء تلك الجماعتين في الإسلام هذا عكس الملكانيين الذيـــن مـــال ولاؤهم لبيزنطة دون أن يتعاونوا مع الحكم الإسلامي .

اتحاد الموارنة مع روما

قدم الفرنجه في القرنين الثاني والثالث عشر من أوروبا الغربية حاملين لواء باباوات روما وانتزعوا الجزء الأكبر من بلاد الشام مـــن أيدي المسلمين ، وأقاموا أربع دول (رومانية كاثوليكية) إمارة أنطاكية وقومسية الرها ومملكة أورشاليم وقومســـية طرابلـــس. وقـــد عـــانى الملكانيون قدراً من الاضطهاد على أيدي الفرنجه لأنهم أتبـــاع الملـــة المسيحية التابعة للكنيسة البيزنطية في الشام بسبب الانشقاق الذي حدث بين روما والقسطنطينية . وقام الفرنجه بتعيين بطاركه لا يتبيّن لكل من الكرسي الرسولي في القدس وانطاكية بدل الملكانيين.

أما المسيحيون غير الملكانيين فقـــد قـــامت الكنيســـة بتطويـــر علاقاتها معهم، لأن عداءهم ورفضهم للمذهب الأرثوذكسي كان موجهً باتجاه بيزنطة القريبه لا روما البعيدة ، وأهم هذه الفرق الأرمـــن ثـــد الموارنه حيث أيدت الحكم الإفرنجه حيث كانت الجاليات من الأرمـــن

تتوطن مناطق الرها ومنطقة قيليقية المحيطة بخليج الأسكندرون وكان البيزنطيون قد شجعوا الأرمن على الهجرة لهذه المناطق ليساعدوا في تحصين مواقعهم الدفاعية ضد المسلمين. وعند الاستيلاء على أنطاكية عام ١٠٩٨م بادر الأرمن إلى مساعدته- البيزنطيين - في الاستيلاء على الرها وما حولها. أما الموارنة فقد سكنوا أعالي جبل لبنان ثم اتجهوا بعد استيلاء الفرنج على أنطاكية نحو الجنوب حتى توقفوا عند طرابلس ووضعوا أنفسهم لخدمة الفرنج بعد استيلائهم على طرابلس عام ١١٠٩م.

وقد كان هناك نشاط لبطريركية أنطاكية في اجتذاب الطوائف المسيحية الشرقية إلى حظيرة روما حيث أبدى بعض اليعاقبه والنساطرة من المسيحيين المتحدثين بالسريانية الرغبة في اعتناق المذهب الروماني الأرثوذكسي ودخول الكنيسة الأرمنية تجعلها في شراكة دينية ورسمية مع روما، وبدأت البطرياركية المارونية بالمفاتحات بشأن اتحاد بين الكنيستين المارونية والرومانية ، وقد استمر الاتحاد حتى خروج الفرنج من الشام علىَ الرغم من سخط صغار الكهنة وكذلك بين عامة الشعب من الموارنة وصعوبة الاتصالات بعد نجاح المماليك بأخراج الفرنج. حيث بقي رغم ذلك اتصال بين بطريرك الموارنه وروما.

وفي عام ١٤٣٩م دعا البابا اوجانيوس الرابع بطريرك القسطنطينية سائر رؤساء الكنائس المسيحية في الشرق إلى مجمع

قلورنسة للنظر في إمكانية ردم هوة الانشقاق بين الكنائس الشرقية خاصة البيزنطية وروما ، وأظهر ممثل الكنيسة المارونية الولاء الخاص لروما ، ولم يكن لقب بطريرك يطلق على رؤساء الكنيسة المارونية في ذلك الوقت لانهم خرجوا على المذهب الأرثوذكس في بدأية الأمر ولكنهم عادوا له بعد عدة قرون على أيدي الرومان الذين يستمدون شرعيتهم الرسولية من باباوات الرومان بغض النظر عن صحة ذلك. فإن مجمع فلورنسة فشل في مساعيه وبعد انفضاضه بدأت العلاقة بين الموارنة والرومان تأخذ طابعاً تنظيمياً. خاصة عندما انتدب الراهب الفرنسيسكاني مستشاراً رومانياً كاثوليكياً للبطريارك الماروني مقيماً معه في نفس الدير، وتمكن من اقناع ثلاثة شبان موارنة للوصول في الرهبنة الفرنسيسكانية، وسافروا لايطاليا ومنهم ابن قلاعي الذي عاد إلى جبل لبنان وأخذ يوطد الوحدة المارونية الرومانية ثم جاءت حركة الإصلاح بقيادة مارتن لوثر وخرج أتباعها على الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لينتظموا في كنائس بروتستانتية، وتبع ذلك حركة اصلاح داخل الكنيسة الكاثوليكية تهدف لتقوية المواقع الكاثوليكية تجاه البروتستانية والتبشير الكاثوليكي في جميع أنحاء العالم. وفي عام ١٥٩٦م أرسلت روما الأب اليسوعي جيروم ليعقد مجمعاً للكنيسة المارونية بقصد إدخال اصلاحات تتماشى والنظام القائم في الكنسية الرومانية الكاثوليكية . وقبل ذلك انشئ معهد لتخريج الشباب بعد

تعليمهم وتدريسهم الطرق الكاثوليكية عرف بإسم الكلية المارونية وتوالى خريجو المعهد الاستيلاء على رئاسة الكنيسة المارونية ، وأخيرا عقد في عام ١٧٣٦ م مجمع ماروني ثاني جرى فيه تفتيح عمل المجمع الذي دعا إليه جيرم وبرزت الكنيسة بعد ذلك العام متماسكة متحدة مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية مع احتفاظها بتقاليدها السريانية الأينطاكية.

ظهور الكنائس الكاثوليكية الاتحادية

كان الاتحاد بين الكنيستين المارونية والرومانية مثلاً يحتذى به ، وساعد هذا الاتحاد مسيحيي بلاد المشرق على الاتحاد وقد ساعدهم في ذلك حرية العبادة في عهد المماليك زمن حكمهم مصر والشام. وعندما جاءت الدولة العثمانية انبعث نظام الملل ولم تعترف إلا بملتين بين المسيحيين ملة الروم الشاملة لأتباع المذهب الأرثونكسي البيزنطي، وملة الأرمن حيث تضم الطائفة الغريغورية وطوائف ذات الطقوس السريانية من يعاقبة ونساطرة وموارنة مما أدى إلى استياء المسيحيين في العراق والشام حيث لم يتم الاعتراف بهم واستقلالهم، وبالإضافة إلى المسيحيين الملكانيين حيث أعطى نظام الملل لبطريرك القسطنطينية السيطرة على بطاركة الكنائس الملكانية والإنطاكية والأورشليمية والإسكندرانية واستغلال رئاستهم لملة الروم وحصر رتبة الأسقفية بأقرانهم من اليونانيين ، ومن هنا دخل المبشرون الكاثوليك ليمنعوا هذه الطوائف للدخول في اتحاد مع روما كما فعل الموارنة ، فأخذوا

يؤسسون الكنائس اللاتينية في الشام ومصر ونجحت هذه الكنائس في اجتذاب بعض المسيحيين المحليين ، وأطلق عليهم اسم (اللاتين) وكان اعظم انتصار للكاثوليكيين إقناع الناقمين على نظام الملل من نساطرة ويعاقبة الغاضبين على السيطرة اليونانية على الكرسي الإنطاكي والإسكندراني والأورشليمية من الملكانيين للدخول في الكرسي البابوي في روما دون التخلي عن طقوسهم ، وانقسم أتباع الطوائف الشرقية الثلاثة قسمين اتحادي قبل بالطاعة ، وغير اتحادي رفضها. بدأ الإنشقاق بين الاتحاديين وغير الاتحاديين وذلك بتأثير من المبشرين في حلب وكان لهؤلاء المبشرين تأثير على الملكانيين في دمشق حيث تأثر قسم ملكاني وأعلن ولاءه لروما وأصبح له أتباع عرفوا باسم (الباسلية أو المخلصين)، حيث كانوا من أغنياء الملكانيين في حلب ودمشق، وبعد وفاة زعيم هذه الطائفة شغر الكرسي الإنطاكي بدمشق فانتخب من جماعة الاتحاديين الملكانيين بطريارك شغل المنصب لكن الجماعة الأخرى من الملكانيين انتخبت شخصاً آخر يدعى سلفستروس. وحدث صراع وانقسمت الكنيسة الملكانية والإنطاكية إلى كنيستين ، الأولى : الروم الارثوذكس غير الاتحادية مدعومة من الدولة العثمانية . الثانية : الروم الكاثوليك الاتحادية مدعومة من روما والدول الأوروبية . وأخذ الروم الأرثوذكس يمارسو ضغوطا على الكاثوليك في دمشق وحلب ولهذا السبب هاجر الكاثوليك إلى جبل لبنان حيث وفر لهم الموارنة

الحماية ؛ وحصل بعض التحول تجاه الفريق الكاثوليكي بين الملكانيين التابعين لكرسي أورشليم والإسكندرية وأصبح رئيس الكنيسة الملكانية الاتحادية المنتخب أصلاً رئيس الطائفة الكاثوليكية حيثما وجدك وأخذ لنفسه لقب (بطريرك انطاكيه والإسكندرية وأورشليم وسائر الشرق) ومقره اليوم بيروت.

ووقع انشقاق مشابه لهذا الإنشقاق بين الأرمن في حلب حيث دخل بعضهم في المذهب الكاثوليكي مما أدى إلى اضطهادهم في شمال الشام على أيدي الأرمن الأرثوذكس، فلجأوا إلى جبل لبنان فأحسن إليهم الموارنة. وحدث انشقاق أخر بين السريان الكاثوليك بسبب التبشير والسريان الارثوذكس في الطائفة إلى عقوبية ، وانتظمت طوائف الروم الكاثوليك والأرمن الكاثوليك والسريان الكاثوليك . هذا وقد بدأ الأقباط الكاثوليك بالظهور في مصر عام ١٧٤١م عندما أعلن أسقف قبطي دخوله في طاعة روما. أما العراق فكانت حركة التحول إلى الاتحاد مع روما نشطة بين النساطرة حيث كان لهم فرع في جزيرة قبرص ، فأرسلوا ممثلاً لهم لحضور مجمع فلورنسة ، فاعتنقوا المذهب الروماني الكاثوليكي وسموا بالكلدان ليتميزوا عن النساطرة الذين رفضوا الاتحاد مع روما الذين سموا الأشوريين.

الكنائس العربية البروتستانية

ظهرت المسيحية البروتستانتية أول ما ظهرت في ألمانيا وهــــذه الفرقة خرجت عن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بعد أخفاقها في الدعوة للاصلاح ، وأخذت تواجه الكنيسه الرومانية وعقائدها باعتبارها خارجة على الكتاب المقدس .

وهم يعتقدون أن خلاص الإنسان لا يتحقق جماعيا بل فرديا عن طريق الإيمان بأن المسيح جاء ليخلص البشرية ، وتبعاً لـــــهذا التعليــم يعتبر جميع المؤمنين من أتباعها بمثابة كهنة أما القيمون على الكنـــائس البيروتستانية فهم خدم لجماعة المؤمنين .

وهناك طوائف بروتستانتينية حافظت على نظامها التقليدي مثل الأنجليكان أو الأسقوفين ، وهناك طوائف أخــــرى اســـتبدلت نظامـــها التقليدي مثل المشيخية تقوم على نظام كنسي جماعي من الرعاة وشيوخ علمانيين ينتخبهم أعضاء الكنيسة ولها مجلس إداري ومجلس أعلــــى . وهناك طائفة أخرى تسمى " جمعية الأصدقاء" حيث ذهب أتباعها إلـــى القول بكهونية جميع المؤمنين إلى أقصى حد . هذه بشكل عام طبيعــــة البروتستانية. أما دخولها العالم العربي فقد كان نتيجة لحركة التبشير في القرن التاسع عشر عرفت باسم الحركة الإنجيلية، حيــث ظـــهرت أول مرة في أمريكا ثم بريطانيا حيث دعت إلى ضرورة تعرف عامة الناس على مضمون الكتاب المقدس ، وأسست مدارس (الأحـــد) لتعريــف

الأطفال على جوهر الدين المسيحي من وجهة نظرها. وكذلك مــدارس وكليات وجامعات لنفس الغرض، وبدأ نشاط المبشرين في هذه البـــلاد بوصول أول المبشرين الإنجيليين لبيروت لتأسيس (إرسالية فلســطين) ثم إرسالية سوريا ، وفي منتصف القرن ١٩ كانت الإرسالية الأمريكية قد أسست مدارسها ومعاهدها اللاهوتية في بيروت ومناطق الــدروز ، وظهر في ذلك الوقت على الساحل نفسه مبشرون بريطانيون كما ظهر في فلسطين وشرقي الأردن حيث قدم إلى فلسطين المبشرين اللوثريــن الألمان حيث أدى نشاطها إلى ظهور طائفه صغيره من البروتســتنت اللوثرين العرب واللذين ما زالوا موجودين حتى الآن، وكان أول إنجاز للإرساليات الإنجليكانية إلى مصر لكن نشاطهم توقف فترة من الزمن بسبب وقوف بريطانيا إلى جانب الدولة العثمانية ضد محمد على باشا ثم انتقلوا إلى فلسطين حيث تم تعيين أول أسقف أنجليكاني في القـــدس عام ١٨٤١م وأصبحت القدس مركزاً للنشاط التبشــيري البروتســتانتي وهذا جعل عدداً من المسيحيين على جانبي نهر الأردن غالبيتــهم مــن الروم الكاثوليك أو الأرثوذكس-يتحولون إلى بروتستانية على المذهــب الإنجليكاني ، وكان المسيحيون العرب الذين تحولـــوا إلــى المذهــب المشيخي البروتستاني في لبنان وسوريا سبقوا الإنجليكان العــرب فــي تأسيس كنائس بروتستانية، وكان أولها المشيخية الجمهورية الطابع فــي بيروت بمساعدة المرسلين الأمريكين عام ١٨٤٧م وتعرف الآن باسم

(الكنيسة الإنجيلية الوطنية). ومن ثم انحصرت جهود المرسلين الأمريكيين في دعم المجمع المنسق للكنائس المشيخية في سوريا ولبنان (السينودوس الإنجيلي الوطني). وأخيراً لا بد من ذكر بعض الكنائس والجماعات البروتستانية مثل الكنيسة الإنجيلية القبطية في مصر عام ١٨٥٦م ، الكنيسة الإنجيلية الأرمنية في اسطنبول ١٨٤٦م . وقد تعرض أتباعها من الأرمن للذبح في الأناضول وقليقية فلجأوا إلى البلاد العربية وأصبحوا مواطنين . أما في العراق فظهرت طائفتان صغيرتان هي الإنجيليين العرب والأشوريون وكان لجمعية الأصدقاء في لبنان جهوداً في مجال التربية والتعليم وأنشأت بمساعدتها أول مستشفى للأمراض العقلية والنفسية في المشرق العربي في جبل لبنان.

المسيحيون في العالم العربي المعاصر

يتواجد المسيحيون في كل من مصر ، العراق ، وبلاد الشام والسودان وبعض المناطق الأخرى في العالم العربي ، ولا يوجد مسيحيون محليون في الجزيرة العربية ، ولا في البلاد الإفريقية ، إذا أن جميع المسيحين في المناطق المذكورة هم من المغتربين العرب والأجانب . ويقدر عدد المسيحين في العالم العربي حوالي عشرة ملايين مواطن موزعين على النحو التالي :-

مصر	ستة ملايين	١٢.٥%
لبنان	مليونان	٤٠%
سوريا	نصف مليون	٦%
العراق	نصف مليون	٣%
الأردن	ربع مليون	٦%
فلسطين	ربع مليون	٦%

إن أكبر الطوائف المسيحية في العالم العربي هي طائفة الأقباط في مصر ويقدر تعدادهم بحوالى ستة ملايين نسمة ، وفي المركز الثاني تأتي طائفة الروم الأرثوذكس حوالى مليون نسمة ، وفي المركز الثالث الموارنة في لبنان ، أما الطوائف الأخرى فهي الأرمن الأرثوذكس والأرمن الكاثوليك والبروتستانت ثم طائفة الكلدان في العراق وتأتي طوائف أخرى صغيره مثل اللاتين وغيرهم ، وعلى الرغم من قله عددهم إلا أن حضورهم الاجتماعي والثقافي والاقتصادي كبير وعلى درجة عالية من الأهمية ناهيك عن حضورهم السياسي ، إذ ساهم المسيحيون في بلاد الشام بالنهضة العربية كعلماء ومفكرين في مختلف المجالات ، ويبقى المسيحيون العرب من أهم المدافعين عن القضايا العربية القومية .وتبقى الحقيقة أن المسيحيين العرب ليسوا أغراباً بأي شكل من الأشكال عن المجتمع الإسلامي وهو المجتمع الذي اشتركوا في تاريخه وأسهموا في حضارته ومدنيته مادياً ومعنوياً منذ أربعة

عشر قرناً ، ويخطىء كل من يعبر عن مخاوف تهدد مستقبلهم فهم جزء من هذا النسيج الاجتماعي ورصيدهم من مكارم الثقة والنوايا الحسنة كبير عبر أربعة عشر قرناً من الزمن.

كان للنشاط التبشيري العربي الذي أدى إلى ظهور الطوائف المسيحية الإتحادية والبروتستانية في العالم العربي نتيجتان، أولاهما: سلبية حيث قضى هذا النشاط التبشيري على الوحدة التاريخية بين صفوف الجماعات المسيحية المختلفة . وثانيتهما: إيجابية تتلخص في أن الهوية العنصرية الشرقية للطوائف الإتحادية ظهرت بشكل أكثر بروزاً بدل من أن تضعف بعد انفصال كل من هذه الطوائف عن الطائفة الأم.

هل تكسب الإنسانية معركتها ؟

تقرير

الهيئة المستقلة الخاصة بالقضايا الإنسانية في العالم

مقدمة بقلم

الحسن بن طلال - وصدر الدين أغاخان

عمان /١٩٩٥

الفصل السادس

هل تكسب الإنسانية معركتها؟

مقدمة عامة

هذا الكتاب يضم ثلاثة أقسام:

القسم الأول يتحدث عن التحدي ، ويضم الموضوعات الآتية :-

أولاً :- أخلاقيات التضامن الإنساني، ويندرج تحته موضوعاً التحدي والإطار.

ثانياً :- قضايا كونية . ويندرج تحته موضوعات السكان، والبيئة، والفقر والتنمية، والاستعداد العسكري العالمي، والإرهاب، ومشكلة المخدرات العالمية .

ثالثاً:- قوى التغيير . ويضم الموضوعات التالية :- الشعوب الجديدة وحركات الشعوب ، والنساء والشباب ، والتقنية الحديثة ، والشركات ذات الجنسيات المتعددة ووسائل الاتصال.

أما القسم الثاني فيتحدث عن الضحايا، ويتضمن الموضوعات الآتية:-

أولاً: - العنف المسلح، ويندرج تحته موضوعات : أسلحة الدمار الشامل، والصراعات الطائفية، والمعايير الإنسانية في الصراعات المسلحة.

ثانياً: – الجماعات الضعيفة .ويضم ما يلي :–

الأحداث، وحماية الأطفال ، والأحداث في المدن ، وأطفال الشوارع ، والمجتثون واللاجئون والمهجرون ، وحالة فقدان الدولة ، وعمليات الطرد الجماعي ، والمهملون ، والشعوب الأصلية ، والمختفون.

ثالثاً :– كوارث من صنع الإنسان . ويتناول الموضوعات الآتية:–

أزمات الغذاء المعاصره ، المجاعة ، التصحر ، إزالة الغابات ، كوارث جديدة من صنع البشر ، مخاطر الطاقة النووية التجارية ، الهندسة الوراثية ، الكوارث الصناعية وإدارة الكوارث.

أما القسم الثالث فيتحدث عن الأمل ويضم موضوعاً واحداً بعنوان (استنتاجات وتوصيات عامة) .

ويعتبر هذا الكتاب دراسة إنسانية مميزة تعالج التحديات والمشكلات الإنسانية التي تواجه العالم ، ويعرض لها الكتاب بصورة تحليلية ورقمية موضحاً أسبابها ونتائجها ويضع في نفس الوقت حلولاً علمية وعملية لمعالجتها ، وفي ما يلي عرض ملخص لفصول هذا الكتاب .

القســم الأول

التحــدي

أولا :- أخلاقيات التضامن الإنساني :-

تلقي النزعة الإنسانية نظرة بعيدة على رفاه البشرية ، ويشكل التضامن مع الأجيال القادمة أحد أبعادها الأساسية، فمسؤوليتنا الأولى نحو أطفالنا هي أن نضمن لهم أن يكون لهم مستقبل باجتناب الحرب المدمرة. كذلك نتحمل مسؤولية ألا يحرم أحفادنا من فرصة العيش الكامل وتوسيع آفاق المعرفة لمنفعة البشرية . وأن لا نحرمهم فرص الاختيـــار. والنزعــة الإنسانية تتضمن توجهاً أخلاقياً نستطيع معه أن نجابه هذه القضايـــــا، هذا التوجه هو مبدأ التضامن الإنساني. إن النزعة الإنسانية هي اتجـــاه لدى الأفراد وإطار لصانعي السياسات في آن معاً. وهي تشمل الفلســفة الإنسانية وحقوق الإنسان وتتجاوز حدود القانون الإنساني الراهن . إنها تربط الأخلاق بالأفعال على كل المستويات . ولا بد أن تتوسع النزعة الإنسانية لتواكب الحاجات المعاصرة وذلك في الأبعاد الآتية :-

١- **البعد الأفقي** : يشمل أجزاء اكبر من العالم ويضـــم عــدداً أكبر من العاملين .

٢- **البعد العمودي** : من أجل ضم المزيد من القضايا الأخلاقية.

٣- **البعد الزمني** : من أجل أن تشمل الأجيال القادمة ولا بد أن يصاحب ذلك إصلاح للاتجاهات الفردية والجماعية المؤسسية.

ثانياً :- التحدي :-

أننا نعيش في ظل القدرات التكنولوجية المتنامية والاتصـــالات التي تختزل الزمن ولعبت وسائل الاتصال الحديثة دوراً مهماً في تقوية شعورنا بالتضامن الإنساني . وقد لوحظ ذلك منذ وقـــت قريـــب جـــداً وبصورة مثيرة حقاً عندما جابهت صور المجاعة في إفريقيا وأوصافها ووعي الجماهير في كل مكان من العالم.

إن العديد من مشكلات البيئة مثل تلـــوث الـــهواء أو الأمطـــار المشبعة بالأحماض أو الآثار المدمرة للاستعمالات الخاطئة للأراضـــي تتجاوز الحدود الدولية . كذلك فـــإن اللاجئيـــن والمـــهجرين والعمـــال النازحين يعبرون الحدود الوطنية وأعدادهم تتزايد باســـتمرار، كذلـــك الحركات السكانية الهائلة التي تثير مشكلات إنسانية كبيرة.

إن أعظم عقبة في سبيل التوصل إلى حس الانتمـــاء للجماعـــة القائم على الاتفاق الأخلاقي الشامل هي انفصال الفقراء والأغنياء إلـــى عالمين مختلفين . فأغنياء عواصم العالم الثالث أوثق صلة بأغنياء العالم الأول من صلتهم بفقراء بلدانهم . لذلك يجب أن نمنـــع الصـــدع بيـــن العالمين من الاتساع وأن نعيد الإحساس بالتضامن بين الناس. وأصبـــح العنف لدى ملايين البشر حقيقة من حقائق الحياة كـــالتعذيب باعتبـــاره وسيلة من وسائل الدولة للسيطرة وكبت الحريات.

وما يزال التجويع يستعمل كوسيلة لقمـــع المعارضـــة ، ولقــد وصلت قوة وسائل الحرب مع تطور أسلحة الدمار الجمـــاعي الحديثـــة مستويات لم تكن تخطر على البال لذلك فإن للدولة مصلحة قوية في حل الصراعات حتى ولو لم تجد نفسها متورطة فيها . إزاء ذلك أصبحـــت الدولة في وضع الدفاع عن النفس ، وأصبح السعي وراء الأمن القومي يستوجب الإعتماد المفرط على التهديد باستعمال القوة. وأدى ذلك إلـــى تسليح مجتمعـــات برمتـــها علـــى حســـاب القطاعـــات الاقتصاديـــة ، والاجتماعية والسياسية . وصارت سلطات الدولة تميل أكثر لاســـتعمال العنف ضد غيرها وضد أبنائها.

ثالثاً :- الإطار :-

بما أننا لا نستطيع أن نسيطر على نتائج أفعالنا ولا التنبؤ بها فإن ذلـــك يستوجب عدداً من الموجبات الأخلاقية ومنها:-

١- مسؤولية دراسة كل النتائج الممكنة لعمـــل مـــن الأعمـــال ومحاولة فهمها وتجنب التفكير الأحادي.

٢- بذل كل جهد ممكن لتقليل الأذى إلى حده الأدنى وتعويـــض من يلحقهم الأذى عندما يكون أمراً لا مفر منه في عملية البحث عن الخير المنافس .

٣- ممارسة الحكمة في وجه النتائج غـــير المتوقعـــة أو الأذى غير المقصود فقد تلحق أفعال مشروعة الأذى ببعض الناس ، غير أن

من الضروري الاعتراف بسوء النتائج بدلا من الإصرار علـــى أنـــها أمور مقبولة ما دامت حتمية .

إن العديد من الدول التي تقبل المعايير الدولية في الصراعـــات الخارجية ما تزال ترفض المعايير الإنسانية في الصراعات الداخليـــة عندما تتعامل مع جماعات المعارضة، ولذلك فإن هذه الجماعات تفتقـــد الحافز الذي يدعوها إلى تطبيق هذه المعايير من جانبها. ومن الأسباب التي تفسر هشاشة الاتفاق الإنساني هو أن هذا الاتفاق لم يفـــد بـــالقدر الكافي من غير التراث الغربي في المجالات الثقافية والقانونية والدينية. وقد تصبح معايير السلوك الإنساني مقبولة قبولاً أشمل إذا ما اعتمدت على مصادر أخرى غير المصادر الغربية.

فالكتب المقدسة لدى الأديان المختلفة إلى جانب النظم القانونيـــة والفلسفية والممارسات التقليدية الموجودة عند الثقافات الأخـــرى مليئـــة بالأوامر الأخلاقية التي تحض على التضامن الإنساني .

لا بد أن تكون المعايير الدولية من ذلك النوع الذي يحظى بقبول مشترك لدى قطاع أوسع من الثقافـــات والأيدلوجيـــات ، ولا بـــد مـــن الإعتراف بحقيقة ضعف القدرة على الحكم السليم لـــدى بنـــي البشـــر، وعلينا أن نسعى من أجل أن نقلل احتمـــالات الخطـــأ بإبقـــاء قنـــوات الاتصال مع الآخرين مفتوحة . وقد يؤدي تعدد الطـــرق فـــي النظـــر للمشكلة الواحدة إلى زيادة فهمها مما يوسع من نقاط الإتفاق . ولا بـــد

من القول بأن الرأيين المتناحرين لا يمثـل أحدهمـا الخطـأ والآخـر الصواب بل يشتركان معاً في قدر من الحقيقة ، لذلك فإن تبـادل الآراء يؤدي إلى استكمال الحقيقة عند كل طرف.

إن عدم الاكثرات بالقيم الإنسانية لا يقتصر على حالات الصراع الصريح بل يظهر في استعداد المجتمـع الدولـي للوقـوف موقـف المتفرج بينما يهوي مئات الملايين من البشر إلـى حضيـض الفقـر المدقع. وفي هذه الحالة فإن المسؤولية الأولـى تقـع علـى عـاتق مجتمعاتهم ودولهم، لكن هذه المجتمعات والدول غالباً ما تكون عـاجزة عن معالجة هذا الوضع المـؤدي لافتقارهـا إلـى المصـادر الماليـة والمهارات لمحاربة الفقر ، أو أنها تكون واقعة في قبضة قـوى أكـبر منها في الاقتصاد الوطني أو العالمي مما يجعلها لا تستطيع السـيطرة عليه.

والإطار الفكري الذي عملت هذه الهيئة ضمنه قام أساساً علـى مجموعة من المبادىء الأخلاقية الجوهرية التي يمكن أن تـؤدي إلـى اتفاق أشمل . وأسس هذا الإطار هي القيم التي ظلت جزءاً من الوعـي الجماعي الإنساني منذ الأزل وهي :-

١ - احترام الحياة.

٢ - المسؤولية تجاه الأجيال القادمة

٣ – حماية البيئة الإنسانية.

٤ – الإيثار الذي تدعمه المصلحة المشتركة والاعتراف بكرامة الإنسان وقيمته .

– ولم تكن تهدف هذه الهيئة إلى أكثر من أن تكون عاملاً مساعداً في تشجيع النقاش العلني لضرورة اتصاف الناس بالنزعة الإنسانية في مواجهة التحديات المعاصرة.

رابعاً : قضايا كونية :-

" أعتقد أن الإنسان لن يدوم فقط بل سوف ينتصر" . (وليم فوكنر/١٩٥٠م).

السكان :- في أوائل هذا القرن لم يكن على كوكبنا أكثر من بليونين من البشر . أما اليوم فقد بلغ العدد خمسة بلايين ويتوقع أن يزداد إلى ستة بلايين مع نهاية هذا القرن . ومع حلول عام ٢٠٢٥ من المتوقع أن يكون عدد سكان أمريكا اللاتينية وجنوب آسيا قد تضاعف مرتين ، وأن يزيد سكان شرق آسيا بنسبة ٤٣%، وسكان امريكا الشمالية والاتحاد السوفيتي بنسبة ٣٨%، أما سكان أوروبا فبنسبة ٩% فقط . وفي عام ٢٠٢٥ سيكون ٨٣% من سكان العالم يعيشون في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية. إن مشكلة التنمية الوطنية تزداد تعقيداً بالنسبة للعديد من الدول بسبب معدلات الزيادة العالية في عدد السكان . وهذه المشكلة تزيد الأعباء الاقتصادية والاجتماعية للدولة.لذلك لابد أن يتواءم النمو

المتوقع في عدد السكان مع البني العمرية المتغيرة والتي تميـــل بشـــدة نحو الشباب في البلاد النامية . إذ يقل عمر ما يناهز الـــــ ٥٠% مـــن عدد السكان في بعض هذه البلاد عن الخامسة عشرة بينما تمثـــل هـــذه الشريحة حوالي ٢٠% في البلاد المتطورة . وأدى ازدياد عدد صغـــــار السن (في البلاد النامية خاصة) إلى زيادة صعوبــــة تلبيـــة حاجاتـــهم الأساسية . وبجانب مشكلة شريحة صغار السن المتنامية هناك مشكلـــة المسنين فعدد المسنين (٦٥ فأكثر) يزيد بسبب تحسن العناية الطبيـــة وتناقص معدلات الوفيات. وسوف تحدث ٧٠% من هذه الزيـــادة فـــي الأقطار النامية . ولا بد أن ترهق العناية بالمسنين كاهل الدولـــة ممـــا سيخلق مشكلات إنسانية جديدة. لذلك فإن البرامج التـــي تشجـــع علـــى تحديد النسل ضرورية لخلق نوع من التوازن في معدلات نمو الســـكان في الأقطار النامية.

البيئة

البيئة :- لقد أضر النمو السريع لعدد سكان العالم بالبيئة ، ومـــن آثـــار زيادة عدد السكان الرعي الجائر واستنفاد الثروة السمكية وإزالة الغابات وانجراف التربة والتصحر وانقراض عدد من الكائنات الحية. فهناك مـــا يزيد على ثلث الأراضي القابلة للزراعة في العـــالم مـــهدد بـــالتصحر. والطلب على الماء يزداد بنسبة أعلى حتى من نسبة السكان بسبب التوسع

في الاستعمالات الزراعية والصناعية والبيئية . ومن المتوقع أن يحـــدث نقص متزايد في المياه في المســـتقبل القريـــب خاصـــة فـــي المنـــاطق الحضارية . إن جانباً كبيراً من الدمار البيئي يتم نتيجة للحاجة الإنســـانية الصرفة المقرونة بالجهل .إن تلوث الجو الذي نتج عن استعمال الوقـــود وإزالة الغابات وحرقها وطرق الزراعة الكثيفة وما يرافقها من استعمال للمبيدات الحشرية والكيماويات المركبة يهدد بإحداث ضرر لا علاج لـــه للبيئة . فقد قرر العلماء أن تشبـــع الجـــو ببعـــض مركبـــات الكربـــون والنيتروجين والكلور سيغير مناخ الأرض خلال السنوات الخمســـين أو السبعين القادمة بأكثر مما تغير طوال الـــ(١٥٠٠٠٠) سنة الماضية وهو ما يدعونه بأثر البيت الزجاجي. كذلك زادت مخاوف العلماء بسبب نقص طبقة الأوزون . فقد تتأثر أنماط الحرارة والمطر في مختلف أنحاء العالم وقد يرتفع مستوى سطح البحر بحيث تضطرب النظم البيئية على الأرض اضطراباً يصعب التنبؤ به وقد تصل الكلفة السنوية لمثل هذا التغير فـــي المناخ إلى٣ % من الناتج الإجمالىالعام لاقتصاد العالم.

الفقر والتنمية :- هذا الموضوع يتحدث عن بقاع شاسعة تعـــاني مـــن الفقر المدقع خاصة في افريقيا وآسيا بحيث بقيت دخول الأفـــراد فـــي جنوب الصحراء الإفريقية تنحدر بدلاً من أن تتحسن عبر ما يزيد على عقد كامل ، ويتوقع البنك الدولي أن تزداد فقراً على مدى العقد القادم ،

والذين يعانون من الفقر المطلق تناهز أعدادهم الـ ٨٠٠ مليون لذلك فهناك حاجة لزيادة المحاصيل الزراعية وإلى إجراء تغييرات سياسية كبرى في علاقة الاقتصاد والصناعة وعلاقات المزارعين وسكان المدن وهناك حاجة لاستصلاح الأراضي وإيجاد اعتمادات كافية للإقراض الريفي والتطور الصناعي.

عسكرة العالم:- إن شعور البشرية بالقلق حول مستقبل كوكبهم نابع من حقيقة كون الإنسان قادراً على محو الحياة الإنسانية بكاملها على هذه الأرض عدة مرات ، إذ يخصص ما يقارب الترليون من الدولارات على المصروفات العسكرية سنويا. هذا بالإضافة إلى أن القدرة الفنية على نزع التسلح موجودة.

الإرهاب :- هو استعمال العنف أو التهديد باستعماله لتحقيق غرض سياسي من قبل الأفراد أو الجماعات الصغيرة . ولا بد للعمل الإرهابي كي يحقق هدفه من أن يثير الرعب، ولقد غدا الإرهاب في السنوات الأخيرة عقبة في سبيل تنمية التعاون الدولي واشتراك أكبر عدد من الدول فيه ، وهو لم يعد مقصوراً على الجماعات بل أخذ يستعمل من قبل الدول ضد معارضيها . إن الإرهاب إهانة للإنسانية ، ويمكن مكافحته من خلال العمل الجماعي على المستوى الدولي.

مشكلة المخدرات العالمية:- تعتبر المخدرات من أشد أشكال التجارة الدولية تحقيقاً للربح حيث تقدر الأرباح ببلايين الدولارات ، فقد بلغت

القيمة السوقية لتجارة المخدرات غير القانونية في الولايـات المتحـدة حوالي١٢٥ بليون دولار. وهي بذلك تفوق في حجمها تجـارة معظـم الشركات العملاقة ، وأن ٦٠% من هيروين العالم يستهلك في آسـيا ، ويعامل المدمنون على المخدرات كما لو كانوا مجرمين إلا أن رجـال الشرطة وموظفي الجمارك لا يستطيعون اكتشاف أكثر مـن ٣-١٠% من المخدرات التي تدخل البلد . إن هذه المشكلة تهدد المجتمع الدولـي برمته.

قوى التغيير :-

" التغير هو قانون الحياة . أما أولئك الذين ينظرون إلى الماضي وحده أو إلى الحاضر وحده فلا شك أنهم سيخسرون المستقبل "

(ج.ف.كندي ، ١٩٦٣).

يتناول هذا الموضوع بعض القوى على مسرح الأحداث العالمية مثل الشعوب التي استقلت حديثاً ومنظمات الشعوب والحركات النسوية والشباب والتكنولوجيا الجديدة والشركات المتعددة الجنسـية ووسـائل الإعلام ويشير إلى كيفية إثارتها للتحديات الإنسانية وكيف تستجيب لتلك التحديات.

الأمم الجديدة:- كان لظهور ما يزيد على مئة دولة جديدة بعـد سـنة ١٩٤٥ نتيجة لعملية إزالة الاستعمار أبعد العوامل أثراً. والأثر الأكـبر لتعدد الدول هو احتواء جداول الأعمال التي تبحثها المنظمات الدوليـة

على قضايا تنبع من الحاجات الإنسانية للغالبية العظمى من الناس فـــي العالم الثالث ، وشكلت قضية التنمية الجزء الأهم من هذه القضايــا ، إذ أن حقوقاً مثل حرية التعبير عن الرأي والمشاركة السياسية قــد تكــون ثانوية إذا ما افتقد الإنسان الطعام والمأوى.

حركات الشعوب:- هذا الموضوع يتحدث عن أسباب حركات الشعوب وهي:-

١-خطر التدمير النووي.

٢- القضايا البيئية.

٣- المجاعة الجماعية في العالم الثالث.

٤- العزل العنصري.

٥- التعذيب والتوقيف غير القانوني. وقــد تصبــح قضيــة الصراع ضد الفصل العنصري قضية إنسانية تماثل الصراع الطويل على مدى العصور ضد مظــالم الــرق والعبوديــة والاستعمار.

النساء:- لقد خضعت النساء منـــذ وقـــت طويـــل للتميـــيز السياســـي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في الكثير من المجتمعات المختلفـــة، ولم يحصلن على الكثير من حقوق المســـاواة بـــالرجل خـــلال المئـــة الماضية من السنين ، ولكن الأمم المتحدة سمّت العقد الممتد ما بين سنة ١٩٧٥-١٩٨٥ بعقد المرأة اعترافا من تلك المنظمة بضـــــرورة بـــذل الجهود الدولية لتحسين وضع المرأة وظروف معيشتـــــها . و قـــدرت الأمم المتحدة أن النساء يؤدين ثلثي العمل في العالم مع أنـــهن يشكلـــن نصف السكان ولا تتاح لهن الفرص التي تتاح للرجال في مجالي التعليم و التدريب المهني .إن التمييز ضد المرأة يتعارض مـــــع الأخلاقيـــات الإنسانية العالمية و يتناقض مع المعايير الأساسية في قـــانون الحقـــوق الإنسانية العالمية .

الشباب :- تقول التقديرات إن من هم دون الثلاثين سيشكلون مع نهاية العقد القادم حوالي ٦٠% من سكان العالم و يتمتع الشباب فـــــي البـــلاد الموسرة بقوة شرائية ضخمة تؤثر على اتجاه النشاطـــات الاقتصاديـــة ولا بد من أخذهم في الحسبان بوصفهم قوة ستصوغ البنى السياســـية و والاقتصادية والاجتماعية في المستقبل ، إن الشبـــاب نجحـــوا فـــي أن يصبحوا قوة من قوى التغيير رغم مشكلاتهم الخطيرة الخاصة بـــهم . فالشباب يشعرون بالالتزام نحو قضايا التطوير الاجتماعي و الاقتصادي ونحو قضايا الاستقلال والسلام .

التكنولوجيا الحديثة :- إن الكثير مما يدور من جدل حول التنمية يتحول إلى حديث من الثورات التكنولوجية القادرة على تغيير خصائص الوجود الإنساني ومميزاته بحيث ينقلب الماضي إلى مجرد مقدمة للمستقبل المهيب الذي ينتظرنا . لقد كانت الابتكارات التكنولوجية بالغت الأهمية للنمو الاقتصادي عن طريق زيادتها لإنتاجية المصادر البشرية والرأسمالية والطبيعية .

الشركات ذات الجنسيات المتعددة والاقتصاد العالمي :-

هذه الشركات هي أكبر الممتلكات التجارية الخاصة على وجه البسيطة، والقيمة الكلية للاستثمارات الخارجية المباشرة التي كانت تملكها هذه الشركات عام ١٩٨٦ تزيد على ٧٠٠ بليون دولار وهي تمتلك تنظيماً من أرفع المستويات و معدات من أكثرها تطوراً ورؤوس أموال ضخمة نتوقعها من الحكومات أكثر مما نتوقعها من الأفراد ، وتعمل هذه الشركات في مناطق تحددها هي داخل الأقطار وما بين القطر والآخر وكثيراً ما تكون مصدراً قيماً لرأس المال والتكنولوجيا والخبرة الإدارية التي تحتاجها البَلاد النامية كثيراً .

وسائل الاتصال :- إن إحدى سمات مجتمعنا العالمي المعاصر التأثير المتزايد لوسائل الاتصال بما فيها الصحافة والإذاعة والأفلام ، وقد نما هذا التأثير عندما أدخلت المكتشفات التكنولوجية الجديدة الخاصة بالاتصال وباستنساخ المعلومات وبثها وإرسالها .

القسم الثاني

الضحايا :- ويبحث هذا القسم في الموضوعات التالية :-

العنف المسلح:- " شعار الحرب هو: فليبق الأقوياء وليمت الضعفاء أما شعار السلم فهو : فليساعد الأقوياء الضعفاء على البقاء" (فرانكلن د.روزفلت، ١٩٣٦).

لا يمكن تحقيق السلام إلا من خلال قدر أكبر من التسامح والثقة بين الشعوب والأمم . هناك ثلاث حقائق مهمة هي :-

١- الزيادة في الأموال التي تصرفها الدول على قواتها المسلحة ومشتريات الأسلحة .

٢- آثار انتشار الصراعات الطائفية في مختلف المناطق .

٣- ليس هناك ما يدعو إلى الاطمئنان في عدم حدوث حرب عالمية كبرى خلال ما يزيد على ٤٠ سنة، ونزع السلاح يجب أن يبقى هو الهدف العام على المدى البعيد .

أسلحة الدمار الشامل :- "إن ما يثير الذعر في عصر الذرة ليس عنف القوة الجديدة بل سرعة تأقلم الإنسان معها ، سرعة تقبله لها"

(ي.ب. وأيت ، ١٩٥٤) .

إن معالجة القضايا الأخلاقية الخاصة التي تثيرها أسلحة الدمار الجماعي أمر بالغ الأهمية من أجل ضمان بقاء البشرية ، فالإنجازات

المعاصرة في حقول الفيزياء النووية وعلم الأحياء الدقيقة والكيمياء ينبغي من وجهة النظر الإنسانية أن تستعمل لفائدة الإنسان فقط .

غياب التفاهم المشترك :- هناك اختلاف حول كيفية تقليل المخاطر الناجمة عن أسلحة الدمار الجماعي ، وتتكاثر تلك الأسلحة بسبب غياب التفاهم الدولي .

عدم فائدة الأسلحة النووية :- لا تخدم غرضاً عسكرياً بشكل بناء وشرعي وهنالك المدلولات الأخلاقية للردع النووي إلى جانب الانتشار الأفقي للأسلحة النووية .

الحرب النووية التي قد تحدث عن طريق الخطأ :- إن انتشار الأسلحة النووية من شأنه أن يزيد من احتمالات الحرب النووية التي قد تبدأ عن طريق الخطأ .

مبادرة الدفاع الاستراتيجي :- أدت هذه المبادرة التي بدأتها الولايات المتحدة إلى أن يشعر المجتمع الدولي بالقلق حول وضع هذه المبادرة ومدلولاتها مستقبلاً وقد قدمت المبادرة للناس بوصفها استراتيجية تقود إلى إيجاد عالم أكثر إنسانية.

وهم الحرب النووية المحدودة :- لا يمكن لأحد أن يربح هذه الحرب ، وإنه من الخطأ افتراض أن الحرب يمكن أن يكبح جماحها بعد أن يبدأ أحدهم باستعمال الأسلحة النووية .ويتحدث في هذا السياق عن خفض المخزون النووي وعن موازنة القوى التقليدية . ويتحدث هذا القسم

أيضا عن ضرورة التخلص من الأسلحة النووية التكتيكية والتأكيد على معاهدة سولت .

القانون الإنساني الدولي :- ليس هناك قانون دولي صريح يبحث قانونية أسلحة الدمار الجماعي إلا أن هناك أعرافاً إنسانية تدعو لمنع استخدامها مثل :-

بروتوكول جنيف لعام ١٩٢٥ ، واتفاقات جنيف لعام ١٩٤٩ ، وجميعها تحظر التسبب في الآلام الإنسانية العشوائية غير الضرورية في الحرب، وتدعو لحماية غير المشاركين فيها .

أسلحة الدمار الجماعي غير النووية :- هناك مصدر تهديد بالدمار الجماعي وهو السلاح البيولوجي والكيماوي وقوتها التدميرية تشبه قوة الأسلحة النووية .

ميثاق الأسلحة البيولوجية لعام ١٩٧٢ :- هو معاهدة لنزع السلاح وضع من أجل عدم استخدام الأسلحة البيولوجية في الحرب وقعته ١٠٠ دولة تضم دول شمال الأطلسي وحلف وارسو ، ويمنع هذا الميثاق تطوير الأسلحة البيولوجية وإنتاجها وتخزينها وامتلاكها واستعمالها . ولا بد من التحقق من التزام الحكومات بواجباتها للتوصل إلى ميثاق لنزع السلاح الكيماوي .

الصراعات الطائفية :

هذه الصراعات أخذت تتزايد وهي مسؤولة عن مئات الآلاف من أحداث القتل وعن إيجاد اليتامى والمشردين. ولهذه الصراعات أسباب اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية ودينية ولغوية وتاريخية ، ويتحدث عن قضية انعدام المساواة بوصفها تؤدي إلى الصراع الطائفي.

الاستراتيجيات الإنسانية :

وجدت طوائف مختلفة حلولا لتخفيف التوتر وذلك عن طريق سلوك الطرق القانونية إذا هددت حقوقهم، كذلك الإجراءات التشريعية التي تحمي الطوائف ضد التمييز، وهناك حاجة لاستراتيجيات أبعد مدى لمنع اندلاع الصراعات الطائفية .

المعايير الإنسانية في الصراعات المسلحة : يتحدث هذا الموضوع عن قتلى الصراعات الاقليمية والمحلية والذين يقدر عددهم بعشرين مليوناً من البشر منذ الحرب العالمية الثانية ، وقد نشب حوالي ١٥٠ صراعاً من هذا النوع منذ عام ١٩٤٥ . إن تطور الاستراتيجيات والطرق المستعملة في الصراعات الحديثة المسلحة تجعلنا نسعى لتحديث القانون الإنساني خاصة اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩. ويتكلم عن حماية المدنيين الذين هم غالبية الضحايا في الصراعات المسلحة . وكانت نسبة الضحايا المدنيين في الحرب العالمية الأولى ٥% بينما وصلت هذه الأيام إلى٧٥% وأحيانا ٩٠% كما هو الحال في لبنان .

كذلك عن انعدام الحماية أثناء الاضطرابات والتوترات الداخلية وعن ضعف الوسائل المؤسسية بوجه الانتهاكات المتزايدة ، ويتحدث الكتاب كذلك عن استراتيجية إنسانية واقعية .

الجماعات الضعيفة : "الإنسانية جمعاء عائلة واحدة لا تنقسم وكل واحد منا مسؤول عن سيئات كل الأخرين " (المهاتما غاندي ، ١٩٣٩م).

يتناول قضايا تتحدث عن الأحداث وحماية الأطفال من مختلف المخاطر ويتحدث عن أطفال المدن ومشكلاتهم . وهؤلاء موجودون في البلاد النامية والمتقدمة على الرغم من أن مشكلاتهم وحاجاتهم فيها تتباين . وأعمارهم تتراوح ما بين الثامنة والثامنة عشرة وغالبيتهم ذكور يتجاهلهم الأخرون، وإن بقاءهم في بيئة الشوارع تجبرهم على تكوين عصابات حيث توفر لهم الحماية ، وكذلك يتناول قضية المخدرات واستهلاكها من قبلهم وكذلك بيعها ، ويتحدث الكتاب عن مصيرهم المشترك الذي هو القبض عليهم وإيداعهم في السجون القاسية . وترى الهيئة أن على الحكومات:-

١- أن تحصل على وصف شامل لوضع أطفال المدن.

٢- أن تدرك أن أطفال الشوارع مهددون بالانحراف إن لم تلب حاجاتهم.

٣- تشجيع مشروعات التنمية الاجتماعية.

٤- توسيع الحماية والشرعية للقطاع غير الرسمي الذي يعمل فيه الكثير من أطفال الشوارع.

المجتثون:- " ليس هناك من حزن يفوق فقدان الوطن"(يوريبيديس، ٤٣١ق.م.) يتحدث هذا الموضوع عن اللاجئين والمهاجرين بسبب الاضطهاد أو الصراع أو الكوارث البيئية ويتحدث عن زيادة لاجئي العالم الذي وصل ١٣مليوناً من البشر، ويتحدث كذلك عن ترتيبات دولية لتقديم المساعدات المادية والحماية للاجئين ويعرف اللاجئ بأنه الشخص الذي لا يستطيع العودة إلى وطنه أو لا يريد العودة إليه بسبب الاضطهاد أو الخوف المبرر من الاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو عضويته في جماعة اجتماعية معينة أو اعتناقه لمبدأ سياسي. ويتحدث الكتاب كذلك عن حالة فقدان الدولة وعن عمليات الطرد الجماعي وهما مشكلتان إنسانيتان . ونحن نرى أن حماية اللاجئين كما تعرفهم الهيئات المعنية القائمة :

* تتطلب قدراً أكبر من التفصيل في تحديد مفهوم الإيواء وما يتعلق به، وعلى المجتمع الدولي أن يدعم هذه العملية وأن يعبر تعبيراً إيجابياً عن فكرتي المشاركة في حمل الأعباء والتضامن الإنساني .

* إن حماية اللاجئين تتطلب وضع مجموعة من المعايير الإنسانية التي تنطبق على اللاجئين وطالبي اللجوء ، وتتطلب أن تراقب المنظمات الدولية تطبيق هذه المعايير .

* إن أمن اللاجئين في حالات الصراع يجب أن تعـــززه الحكومـــات وعلى المنظمات الدولية ممارسة دور الرقيب الفعال .

* إن المنظمات الدولية المعنية بالأمور الإنسانية يجب أن يســـمح لـــها بالاتصال باللاجئين ، وإمكانية إرسال مراقبين إنسانيين محـــايدين إلـــى مواقع التوتر أو الصراعه .

المهملون : السكان الأصليون:- " من الطبيعي في كل مكان أن يحـــب الناس بني جلدتهم، ولكن ليس من الطبيعي بالضرورة أن يؤدي حـــب الناس لبني جلدتهم إلى أخضاع جماعات كاملة من غير بنـــي جلدتـــهم لهم".

(بيرل س. بك،١٩٤٣م)

يذكر الكتاب أنه كثيراً ما يكون السكان الأصليون رعاة متنقلين أو صيادين أو مزارعين غير مســـتقرين يعيشـــون فـــي الغابـــات أو الصحارى أو الجبال ، ويذكر بأنهم يتعرضون للتميـــيز فـــي لغاتـــهم وأديانهم وثقافتهم بوصفها بدائية من قبل الجماعات المهيمنـــة . علـــى المستوى الوطني يدعو الحكومات:-

١- إلى الاعتراف بالسكان الأصليين .

٢- ضمان حقوق السكان الأصليين.

٣- محاربة التمييز ضدهم.

٤- زيادة الأموال المخصصة لهم.

المختفون:- " يبدأ الطغيان حيثما ينتهي القانون" (جون لوك ، ١٦٩٠)

ترتبط عمليات الاختفاء دائماً بالنظم التسلطية وتستعمل الجماعات شبه العسكرية حيث تنشر الرعب في قلوب الناس وهذه العمليات لا تطالها يد القانون ولا يوجد تعريف قانوني شامل لعمليات الاختفاء . ومن الجهات التي تنظر في عمليات الاختفاء لجنة حقوق الإنسان التي تأسست عام ١٩٧٦م.

كوارث من صنع الإنسان :- يركز على فهم أسباب المجاعة في إفريقيا والطرق التي يمكن بواسطتها تفادي هذه المأساة في المستقبل . بحثت الهيئة في الكوارث الجديدة التي صنعها الإنسان إلى جانب بحثهم في عمليتي التصحر وإزالة الغابات اللتين تؤثران على ملايين البشر.

أزمات الغذاء المعاصرة

المجاعة :- المعونات الغذائية لم تعوض الناس عن وسائل الإنتاج التي فقدوها خلال الأزمة . ويتحدث الكتاب عن الأزمات الغذائية في الثمانينات حيث إنها حدثت في ظروف تجارية سيئة سادت بين الأقطار النامية والمتطورة وديون خارجية متزايدة وازدياد التفاوت بين الطبقات ، ونمو سريع في أعداد السكان . وهذه العوامل جعلت الاقتصاد الوطني لدول إفريقيا بالغ الضعف. يعتقد بضرورة التبرع السخي بالمعونات الغذائية لمحتاجيها، وأن تخضع للإدارة الحكيمة .

يتحدث عن أزمة الغذاء في إفريقيا والمشكلة الإنسانية . بالمقابل هناك أزمة ثراء في العالم الأول لجانب أزمة الفقر في العالم الثالث.

التصحُّر:- "تبدو أرضنا بالمقارنة مع ما كانت عليه هيكلاً لجسم أنهكه المرض" أفلاطون ، ٣٦٠ق.م.

هنالك صحارى كبرى في العالم كالصحراء الكبرى وصحراء الكالاهاري في إفريقيا وصحراء أتاكاما في أمريكا الجنوبية وصحراء راجاستان في جنوب آسيا وغيرها كثير أخذت في النمو. ويتكلم عن طرق مكافحة التصحر .

ويذكر بأن عملية السيطرة على التصحر تقوم على نواحٍ رئيسية ثلاث:-

١- إعادة النظر في السياسات التي تعجل بالتصحر.

٢- حشد الطاقات البشرية المحلية لإعادة تنظيمها واشراكها في النشاط الجاري وتنشيط البحوث الخاصة بالزراعة وتربية الحيوانات.

٣- المشاركة المتكافئة في الموارد ما بين فئات المجتمع والشعوب المختلفة.

إزالة الغابات:- " الأشجار هي محاولات الأرض التي لا تنتهي لكي تخاطب السماء الصافية" (رابندرانات طاغور ، ١٩٢٨). هنا يتحدث الكتاب عن الاستعمالات المختلفة لقطع الأشجار منها مثلاً للحصول على الخشب، ومن أجل الحصول على الوقود، ومن أجل الصناعات

الخشبية والورقية . وهذا يؤدي لدمار الغابـــات علـــى المـــدى البعيـــد ويتحدث عن المشكلات البيئية الناتجة عن إزالة الغابات .

كوارث جديدة من صنع البشر:- " إن قناعات أي جيل من الأجيال هي مشكلات الجيل التالي" (وتشرد هـــ . توني، ١٩٢٦).

يتحدث هنا عن ضرورة تقويم الأبعـــاد الأخلاقيـــة للتشغيـــل الراهـــن للصناعة النووية وعن مدى التزام حكومات اليـــوم باتخـــاذ الخطـــوات الكفيلة بتوفير البيئة الصحية لأجيال الغد. أثارت الابتكـــارات العلميـــة قضايا أخلاقية باستمرار.

الهندسة الوراثية:-

١- إن التنوع الوراثي يجب الحفاظ عليه بمختلف الوسائل عن طريق إنشاء عدد ممكن من البنوك المورثات (الجينات).

٢- أن يحافظ المزارعون على الأنواع النباتية التي نشأت أصـــلاً فـــي مناطقهم.

الكوارث الصناعية:- حجمها ومخاطرها كبيرة لم يسبق لها مثيل بسبب أن المصانع التي تنتج المركبات الكيميائية الخطرة أصبحت أكبر ممـــا كانت عليه سابقاً. وطرق الإنتاج أعقد وازداد عدد المنتوجات الكيميائية، وعدد الناس الذين يمكن أن يقعوا ضحية الحوادث ممن يعيشون داخـــل المنطقة الخطرة زاد زيادة كبيرة . خطر الكوارث الصناعية يزداد مع

مرور الوقت بسبب انتشار المنشآت الكبرى ولأن العديد من المصانع التي أقيمت في الخمسينات والستينات أخذت تهرم.

إدارة الكوارث :أنواعها :-

١- الكوارث الأساسية الناتجة عن قوى الطبيعة كالزلازل والأمواج العاتية والفيضانات والبراكين والانحرافات الأرضية.

٢- الكوارث التي يمكن التنبؤ بها كالمجاعات والأوبئة.

٣- الكوارث المتعمدة كالحروب بين الدول والحروب الأهلية وحروب العصابات والتمرد.

٤- الكوارث العارضة كالكوارث الصناعية والنووية : وهذه من عوارض التقدم التكنولوجي في القرن العشرين.

الإطار الدولي لإدارة الكوارث:- يمتلك نظام الأمم المتحدة من الناحية النظرية القدرة المؤسسية والمادية لإدارة الكوارث إدارة فعالة على المستوى الدولي ، لكن عناصر هذا النظام مثل الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، ومنظمة الأغذية الزراعية ، وبرنامج الغذاء العالمي، وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية ،والهيئة العليا للاجئين ، والصندوق الدولي للأطفال (وهي هيئات مخولة للعمل لمواجهة أنواع مختلفة من الكوارث) ركزت على أولوياتها هي وعلى برامجها القطاعية.

الأطر الوطنية لإدارة الكوارث:- إن العديد من الحكومات تفتقر إلى استراتيجيات وطنية لمعالجة الكوارث وإلى مؤسسات قائمة لإدارة

الكوارث وقد يكون السبب عدم ملكيتها ما يكفي من الموارد للصـــرف على برامج منع الكوارث، ويتحدث الكتاب عن تنسيق الأمـــم المتحـــدة حيث إنه لا بد أن ترافق الاعتمــــاد علـــى المبـــادئ الإنســـانية لإدارة الكوارث خطة لوضع الهيئات المختلفة التابعة للأمم المتحدة تحت قيادة واحدة لمدة محددة من أجل الاستفادة من الموارد والإمكانيات المتاحـــة لشبكة منظمات الأمم المتحدة ككل . ويتحدث كذلك عـــن أن اســـتجابة الأمم المتحدة في هذا المجال (إدارة الكوارث) من شأنها أن تزيد مـــن مصداقيتها لدى وسائل الإعلام والحكومات ، ويقدم توصيات في مجال إدارة الكوارث للأمم المتحدة.

القسم الثالث

الأمل: استنتاجات وتوصيات عامة:-

"كان أحسن الأوقات ، وكان أسوأها ، كان عصر الحكمة ، وكان عصر الحماقة ،كان عهد الإيمان ، وكان عهد الشك، كان فصل النور، وكان فصل الظلام، كان ربيع الأمل ، وكان شتاء اليأس" (تشارلز دكنز،١٨٥٩).

- تذكر الهيئة أن هدفها من إعداد هذا التقرير هو إنقاذ الأمل من البيئة القاتمة المعقدة المربكة التي نعيش فيها. لا يوجد في الحقل الإنساني خطط جاهزة للعمل العالمي. ويؤكدون من جديد على إيمانهم بالدوافع الإنسانية الأساسية. وإن معالجة المشكلات الإنسانية تحد للعقل والقلب معاً. يدركون بأن الإعلانات و القرارات والتقارير لن تنفع الإنسانية ما لم يقرر الأفراد قرارات في هذا الشأن . أصبحت النزعة الإنسانية مسؤولية . وحاولوا بيان الجانب العملي من النزعة الإنسانية . يؤمنون بأن الدوافع الإنسانية التي تضمن البقاء والسعادة هي التي ستسود في النهاية وذلك لإيمانهم بالطبيعة البشرية.

- أول واجب من واجبات الأقوام والشعوب الساعية إلى تقوية هذا الأمل هو تغذية التعددية . ولا بد من الاعتراف بضرورة حل الصراعات الدولية من خلال المفاوضات والتسويات لأن الاعتماد على الحلول الانفرادية أثبتت فشلها.

- لعبت الأمم المتحدة دوراً مهماً في عملية التخلص من الاستعمار، وتكفلت ببرامج للتنمية والنمو الاقتصادي وحدوث القضايا الإنسانية وبذلت الجهود لتعزيز التعاون الدولي لتحسين البيئة وإلغاء التميز العنصري وتحسين مكانة المرأة وتنظيم النمو السكاني وحماية الأطفال والأقليات واللاجئين والمهجرين.

- وتقدم الهيئة بعدد من التوصيات العامة التي ترى بأنها ستساعد على تحسين الوضع الإنساني بشكل عام:-

١- من الضروري متابعة ما قاموا به من عمل لذا قرروا تأسيس مكتب مستقل للقضايا الإنسانية.

٢- أن تؤسس الأقطار هيئات وطنية مستقلة تنظر في القضايا الإنسانية.

٣- يوصوا الحكومات بأن تنظر في إمكانية تأسيس هيئة مستقلة تتمتع بقدر كافٍ من السلطة تكون مسؤولة عن القضايا الإنسانية.

٤- يدركون بأن معظم المشكلات الإنسانية ستخف وطأتها لو أن حقوق الإنسان الأساسية تنال الاحترام.

٥- على الأمم المتحدة أن تنظر في إمكانية تأسيس مكتب مركزي للقضايا الإنسانية.

٦- في حالة المعونات الإنسانية فإن جانباً كبيراً منها يذهب إلى أعمال الإغاثة والإجراءات المؤقتة بالمقارنة مع ما يخصص للحلول الدائمة للمشكلات الإنسانية . لذا يحثون المنظمات الدولية والحكومات لأن تعطي قدراً أكبر من الاهتمام لجذور المشكلات.

٧- الاعتبار الأول في حالات الطوارئ يجب أن يكون للأولويات الإنسانية لا إلى الاعتبارات السياسية.

٨- مفهوم القانون الإنساني الدولي يجب أن يتوسع ليشمل قانون السلام المتعلق بالرفاه الإنساني .

٩- بالنسبة للمؤسسات المالية الدولية فسياساتها وبرامجها يجب أن تشمل التنمية الاجتماعية بوصفها واحدة من أهم أولوياتها.

١٠- يوصون بأن يخصص المزيد من الموارد الإنسانية والمالية للعلوم الاجتماعية والإنسانية خاصة تلك التي تتصل بالقضايا الإنسانية ذات المردود العملي لسلامة الأقطار من الناحيتين الاجتماعية والسياسية.

١١- أن تعيد النظر بالنسبة للحكومات ومؤسسات التعليم في مناهج الدراسة لكي تفسح مكاناً أكبر للقضايا الإنسانية.

١٢- يوصون بأن تطور الأمم المتحدة مادة دراسية خاصة تدخل في مناهج الدراسة الوطنية، والهدف من هذه المادة الدعوة لقدر أعظم من التفهم للمؤسسات الدولية وللقضايا الإنسانية وحقوق الإنسان.

١٣- يدعون وسائل الإعلام إلى جعل القضايا الإنسانية جزءاً مهماً من نشاطها.

١٤- من الضروري أن نبني جهود المستقبل على أساس البنية الراهنة لحقوق الإنسان والمبادئ الإنسانية عن طريق التعرف على القيم والمعايير الإنسانية المشتركة بين جميع الثقافات والمعتقدات والقارات والترويج لها.

ولكن ليس المقصود من الدعوة للتقدم في مجال العمل الإنساني أن نقلل من أهمية التقدم في غيره من المجالات مثل المجالات الاقتصادية والسياسية والأمن العالمي بل أن التقدم في هذه المجالات ضروري لدعم القضايا الإنسانية.

ولا بد أن يكون الاعتراف بالقيمة الجوهرية للإنسان وبالقيم الأخلاقية المشتركة بين كل المجتمعات هو القوة الدافعة وراء عملنا المشترك من أجل خير الجميع.

خاتمة :-

هذه محاولة جادة وعلمية لإبراز فكر ورؤى صاحب السمو الملكي الحسن ولي العهد، وجعله في متناول الباحثين والدارسين لينهلوا من هذا الفكر والمنهجية ، آخذين بعين الاعتبار حاجة الأجيال بناة المستقبل لمثل هذه الأفكار والرؤى لتنير لهم درب المستقبل ولتريهم عطاء الهاشميين ودورهم التاريخي في خدمة الوطن والأمة. إن هذا الجهد المميز والعطاء من سمو يدل على إدراك وفهم لحقيقة التاريخ الإنساني ومشكلاته وهو جهد من أمير هاشمي متمرس ، مدرك قادر على إعطاء صورة حقيقة شاملة لفهم أوضح للقضايا الإنسانية المختلفة على شتى أنواعها ومختلف مستوياتها.

إننا أمام مدرسة ذات دراية ومعرفة علمية وواقعية صاحبة موضوعية ونظرة مستقبلية مليئة بالأمل والتفاؤل من أجل رخاء ورفاهية الإنسان والإنسانية جمعاً.

فقد أبرز الكتاب بعض رؤى وأفكار سموه في المواضيع الحساسة مثل التنمية، والديمقراطية، والسلام، من حيث رؤية سموه للمعنى الحقيقي وآلية التعامل العملي مع هذه القضايا الإنسانية ، وكذلك فقد تمت الإجابة حول مرتكزات ومصادر الفكر والخطاب السياسي الإنساني لدى سموه مركزاً على الجوهر والمضمون.

وعالج الكاتب مؤلفات سموه الرئيسية بشكل مراجعة شاملة ودقيقة ومختصرة، بدءاً من كتاب القدس " دراسة قانونية " ومروراً بكتاب السعي نحو السلام ، وأفكار وتساؤلات والمسيحية في العالم العربي ، وانتهاءً بالدراسة المميزة ذات الطابع الإنساني والعالمي، هل تكسب الإنسانية معركتها؟ وهي مؤلفات يقدم فيها سموه جهداً مميزاً وفذاً في تحليل ودراسة المشكلات الإنسانية التي تواجه العالم، واضعاً بين يدي القارىء تصوراً شاملاً للحلول والتوصيات لمعالجة هذه القضايا الإنسانية العالمية،هادفاً من ذلك إلى حياة أفضل للبشرية ورفاه للإنسانية.

وأخيراً وليس آخراً ، فهذا الجهد المتواضع من الكاتب يمثل جزءاً من الوفاء والولاء والانتماء لهذا الوطن والشعب والقيادة ممثلة بصاحب الجلالة الملك الحسين بن طلال، أيده الله ورعاه، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال ، حفظه الله ورعاه.

انتهى بحمد الله

قائمة المراجع :

الحسن بن طلال ، السعي نحو السلام ، عمان ، ١٩٨٥.

الحسن بن طلال ، صدر الدين أغاخان ، هل تكسب الإنسانية معركتها؟ تقرير الهيئة المستقلة الخاصة بالقضايا الإنسانية في العالم ، عمان ، ١٩٩٥.

الحسن بن طلال ، المسيحية في العالم العربي ، عمان ، ١٩٩٥.

الحسن بن طلال ، القدس دراسة قانونية ، عمان ، ١٩٧٩.

الحسن بن طلال ، أفكار وتساؤلات ، عمان ، ١٩٩٠ .

الحسن بن طلال ، خطاب في حفل تخريج الجناح العسكري / مؤتة ٢٦/حزيران/١٩٩٤.

الحسن بن طلال ، محاضرة بعنوان : التطورات المعاصرة والمبادرة الأردنية ، عمان ، ٢٤ كانون الأول ١٩٩٤.

الحسن بن طلال ، خطاب في دورتي كلية القيادة والأركان ، والأركان الجوية ، عمان – ١/ حزيران /١٩٩٦.

الحسن بن طلال ، كلمة في لقاء التصحر ، جامعة اليرموك اربد ٣٠/٧/ ١٩٩٦.

الحسن بن طلال ، كلمة في افتتاح المؤتمر العلمي الأردني الثاني، عمان ، ٥/٨/١٩٨٤.

الحسن بن طلال ، رسالة إلى المؤتمر العام الثامن للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية " مؤسسة آل البيت" عمان ،٣٠/تموز/١٩٩١.

الحسن بن طلال ، خطاب كلية الحرب والأركان الملكية ، عمان ١٩٩٦/٩/١٥.

الحسن بن طلال ، أفكار للزمن الجديد ، عمان ، رم للدراسات ، ١٩٩٢.

الحسن بن طلال ، نحو نظام عربي جديد ، ورقة مقدمة لمنتدى الفكر العربي ، عمان ، ١٩٩١/٧/٣.

الحسن بن طلال ، مجموعة خطابات ومحاضرات ، ١٩٨٨-١٩٨٩ ، تحرير د. بسام الساكت ، وعلي الدجاني ، م٦ ، عمان،١٩٩٢.

الحسن بن طلال ، مجموعة خطابات ومحاضرات ، ١٩٨٧، تحرير ، د. بسام الساكت وعلي الدجاني ، م٥ ، عمان ١٩٩٢.

الحسن بن طلال ، كلمة في المؤتمر الاقليمي للتعليم الإسلامي لوزراء التربية العرب ، عمان ١٩/تشرين اول ١٩٩٤.

الحسن بن طلال ، كلمة المؤتمر العام الثالث لمنتدى الشباب العربي ، عمان ١٥/ حزيران ١٩٩٤.

الحسن بن طلال ، كلمة في الاجتماع العاشر للهيئة العامة لمنتدى الفكر العربي ، عمان ٢١-٢٢/ أيار ١٩٩٦.

الحسن بن طلال ، كلمة في افتتاح ندوة " نحـــو تخطيـــط الأردن عـــام ٢٠٢٠" عمان ١٩/أيار ١٩٩٦.

الحسن بن طلال ، كلمة افتتاح القمة الاقتصادية للشرق الأوسط وشمال افريقيا ، عمان ، ٢٩ تشرين الأول ١٩٩٥.

د.ابراهيم العطار، الموسوعة الهاشمية في القرن العشرين، م٥، عمـــان ١٩٩٥.

مازن العرموطي، وآخرون " محرر" ، البعد الإنساني ، لعملية الســـلام في الشرق الاوسط، مؤتمر المائدة المستديرة، عمان ، ١٩٩٥.

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(١٩٩٧/٩/١٢٥٣)

رقم التصنيف : ٩٥٦ر٥٠٢٢٣

المؤلف ومن هو في حكمه : أمين المشاقبة

عنوان الكتاب : الحسن بن طلال المفكر الانسان : روءى وأفكار في التنمية ، الديمقراطية والسلام وقراءة في موءلفات سموه

الموضوع الرئيسي : ١- التاريخ والجغرافيا

٢- الاردن - التاريخ - الحسن بن طلال

بيانات النشر :

*- تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الكاتب في سطور

الدكتور أمين عواد مهنا المشاقبة

مواليد مدينة المفرق ١٩٥٥

دكتوراه في العلوم السياسية

جامعة جنوب كاليفورنيا ١٩٨٦

ماجستير في السياسة المقارنة

جامعة جنوب كاليفورنيا ١٩٨٤

ماجستير في العلاقات الدولية

جامعة فيرلي ديكنسن، أمريكا ١٩٨٠

بكالوريوس في العلوم السياسية،

الجامعة الأردنية ١٩٧٨

أستاذ مشارك، في العلوم السياسية

جامعة اليرموك ١٩٩٣

أستاذ زائر جامعة تنسي، أمريكا ١٩٨٩

أستاذ مشارك

جامعة العلوم التطبيقية، عمان

١٩٩٦-١٩٩٧

وزير التنمية الإجتماعية الأسبق،

١٩٩١-١٩٩٣

كتب

التحديث والإستقرار السياسي في الأردن،

دار الجيل، بيروت ١٩٨٩

النظام السياسي في الأردن، دار زهران،

عمان ١٩٩٠

الأمير شاكر بن زيد، حياته ونشأته، عمان ١٩٩٥

في التربية الوطنية، النظام السياسي والمسيرة

الديمقراطية الأردنية، عمان، ١٩٩٧ .

المطابع العسكرية